أيها الولد

تأليف

الإمام المجدد، حجة الإسلام والمسلمين
زين الدين، أبي حامد
محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي
الطوسي الطابراني الشافعي
رضي الله عنه
(٤٥٠-٥٠٥هـ)

دار المنهاج

أيها الولد

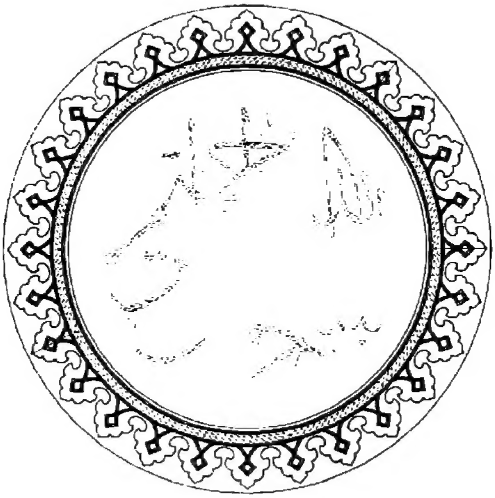

أيها الولد

تأليف
الإمام المجدد، حجة الإسلام والمسلمين
زين الدين، أبي حامد
محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي
الطوسي الطابراني الشافعي
رضي الله عنه
(٤٥٠-٥٠٥هـ)

تشرفت بخدمته والعناية به
اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي

دار المنهاج

الطَّبعَة الثّانيَة

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

جَميع الحُقوق محفُوظَة للنَّاشِر

اسم الكتاب : أيها الولد

المؤلف : الإمام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)

الإعداد : مركز دار المنهاج للدراسات

موضوع الكتاب : أخلاق وسلوك

مقاس الكتاب : (٢٤ سم)

تصنيف ديوي الموضوعي : (٢١٢)

عدد الأجزاء : (١)

عدد المجلَّدات : (١)

نوع الورق : شاموا فاخر

نوع التجليد : مجلَّد كرتوناج

عدد الصفحات : (٩٦ صفحة)

عدد ألوان الطباعة : لونان

التصميم والإخراج : مركز المنهاج للصف والإخراج الفني

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأيِّ شكلٍ من الأشكال، أو نسخه، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكِّن من استرجاع الكتاب أو أي جزءٍ منه، وكذلك لا يسمح بترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبقاً من الناشر.

9 789953 498256

الرقم المعياري الدولي

ISBN: 978 - 9953 - 498 - 25 - 6

دار المنهاج
لبنان ـ بيروت
هاتف : 806906 05 ـ فاكس : 813906 05

دار المنهاج للنشر والتوزيع
لصاحبها عمر سالم باجخيف
وفقه الله تعالى

المملكة العربية السعودية ـ جدة
حي الكندرة ـ شارع أبها تقاطع شارع ابن زيدون
هاتف رئيسي 6326666 ـ الإدارة 6300655
المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392
ص . ب 22943 ـ جدة 21416

عضو في الاتحاد العام للناشرين العرب
عضو في إدارة جمعية الناشرين السعوديين
عضو في نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com
E-mail: info@alminhaj.com

الموزعون المعتمدون داخل المملكة العربية السعودية

جدة

مكتبة دار كنوز المعرفة

هاتف 6570628 ـ 6510421

مكة المكرمة

مكتبة الأسدي

هاتف 5570506 ـ 5273037

مكة المكرمة

مكتبة نزار الباز

هاتف 5473838 ـ فاكس 5473939

المدينة المنورة

دار البدوي

هاتف 0503000240

المدينة المنورة

مكتبة الزمان

هاتف 8366666 ـ فاكس 8383226

الطائف

مكتبة المزيني

هاتف 7365852

الدمام

مكتبة المتنبي

هاتف 8344946 ـ فاكس 8432794

الرياض

دار التدمرية

هاتف 4924706 ـ فاكس 4937130

الرياض

مكتبة الرشد

هاتف 2051500 ـ فاكس 2253864

الرياض

مكتبة جرير

وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها

هاتف 4626000 ـ فاكس 4656363

الرياض

مكتبة العبيكان

وجميع فروعها داخل المملكة

هاتف 4654424 ـ فاكس 2011913

الموزعون المعتمدون خارج المملكة العربية السعودية

MEGASTORE

فيرجن وفروعها في العالم العربي

الجمهورية اليمنية

مكتبة تريم الحديثة ـ حضرموت

هاتف 417130 ـ فاكس 418130

مملكة البحرين

مكتبة الفاروق ـ المنامة

هاتف 17272204 ـ فاكس 17256936

الإمارات العربية المتحدة

حروف للنشر والتوزيع ـ أبو ظبي

هاتف 5593007 ـ فاكس 5593027

مكتبة الإمام البخاري ـ دبي

هاتف 2977766 ـ فاكس 2975556

مكتبة دبي للتوزيع ـ دبي

هاتف 3339998 ـ فاكس 3337800

دولة الكويت

مكتبة دار البيان ـ حَوَلي

تلفكس 22616490 ـ جوال 9952001

دار الضياء للنشر والتوزيع ـ حَوَلي

هاتف 22658180 ـ فاكس 22658180

جمهورية مصر العربية

دار السلام ـ القاهرة

هاتف 22741578 ـ فاكس 22741750

مكتبة نزار الباز ـ القاهرة

هاتف 25060822 ـ جوال 0122107253

الجمهورية اللبنانية

الدار العربية للعلوم ـ بيروت

هاتف 785107 ـ فاكس 786230

مكتبة التمام ـ بيروت

هاتف 707039 ـ جوال 03662783

المملكة المغربية

مكتبة التراث العربي ـ الدار البيضاء

هاتف 0522853562 ـ فاكس 0522854003

دار الأمان ـ الرباط

هاتف 0537723276 ـ فاكس 0537200055

دولة قطر

مكتبة الثقافة ـ الدوحة

هاتف 44421132 ـ فاكس 44421131

المملكة الأردنية الهاشمية

دار محمد دنديس ـ عمّان

هاتف 4653390 ـ فاكس 4653380

الجمهورية العربية السورية

مكتبة المنهاج القويم ـ دمشق

هاتف 2235402 ـ فاكس 2242340

جمهورية الجزائر

دار البصائر ـ الجزائر

هاتف 021773627 ـ فاكس 021773625

جمهورية الصومال

مكتبة دار الزاهر ـ مقديشو

هاتف 002525911310

الجمهورية التركية

مكتبة الإرشاد ـ إستانبول

هاتف02126381633 ـ فاكس02126381700

جمهورية أندونيسيا

دار العلوم الإسلامية ـ سوروبايا

هاتف 0062313522971

جوال 00623160222020

الهند

مكتبة الشباب العلمية - لكناؤ

هاتف 00919198621671

جمهورية فرنسا

مكتبة سنا ـ باريس

هاتف 0148052928 ـ فاكس 0148052997

انكلترا

دار مكة العالمية ـ برمنجهام

هاتف 01217739309 ـ جوال 07533177345

فاكس 01217723600

جميع منشوراتنا متوافرة على

موقع مكتبة نيل وفرات . كوم لتجارة الكتب

www.nwf.com

Furat.com فرات

موقع رائد لتجارة الكتب والبرمجيات العربية

www.furat.com

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا

بين يدي الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ القائلِ في كتابِهِ المبينِ : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ نبيِّهِ الأمينِ ، الرحمةِ المهداةِ للعالمينَ ، القائلِ : « مَنْ يُرِدِ ٱللهُ بِهِ خَيْراً . . يُفَقِّهْهُ فِي ٱلدِّينِ » ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ .

ورحمَ اللهُ الإمامَ أبا حنيفةَ حيثُ قالَ : (الفقهُ : معرفةُ النفس ما لها ، وما عليها) .

وبعد :

فلا تزالُ طائفةٌ مِنْ هٰذهِ الأمَّةِ تقومُ علىٰ حفظِ أصولِ الدينِ ، والذَّبِّ عَنْ حوزتِهِ باللسانِ والسِّنانِ ؛ حتَّىٰ وصلَ إلينا نقياً صافياً سائغاً للشاربينَ .

وهٰذا الكتابُ يُنبِئُنا عَنْ حِرْصِ بعضِ النُّبهاءِ مِنْ طلبةِ الإمامِ الغزاليِّ علىٰ سؤالِهِ بصدقٍ أَنْ يُرْشِدَهُ إلىٰ سبيلِ الفلاحِ .

فلمَّا لَمَسَ هٰذا الإمامُ الموفَّقُ البصيرُ بأدواءِ القلوبِ ونزَعاتِ النفوسِ حرصَهُ وصدقَهُ . . أجابَهُ عَنْ بعضِ ما سألَ ممَّا ينضوي تحتَ قواعدِ الشرعِ ، ويمكنُ التعبيرُ عنهُ بالقولِ أَوِ الكتابةِ ،

واعتذرَ عَنِ الجوابِ عَنِ الذوقيّاتِ ؛ إِذْ هيَ لا تُقالُ ولا تُكتبُ ، بَلْ شأنُها التجربةُ وملابَسةُ الأحوالِ ، والصدقُ وتحريرُ النيّاتِ .

فإذاً ؛ جاءَ هـٰذا الكتابُ الصغيرُ الحجمِ الجليلُ المضمونِ جواباً شافياً بإذنِ اللهِ لِمَنْ طلبَ الإبانةَ والكشفَ عَنِ المنهجِ السويِّ في السلوكِ إلىٰ مَلِكِ الملوكِ .

بيّنَ فيه الإمامُ حُجّةُ الإسلامِ أنَّ الواعظَ الأوّلَ هُوَ المصطفىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وحشدَ الأدلَّةَ وضربَ الأمثالَ لبيانِ وجوبِ العملِ بالعلمِ الشرعيِّ ؛ فإنَّ العلمَ بدونِ عملٍ . . كالجسدِ بِلا رُوحٍ .

تَرْجُو ٱلنَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا   إِنَّ ٱلسَّفِينَةَ لاَ تَجْرِي عَلَى ٱلْيَبَسِ

ونبّهَ علىٰ ضرورةِ تصحيحِ النيّةِ في طلبِ العلمِ ، والِاشتغالِ بتطهيرِ القلبِ ، وحثَّ علىٰ قيامِ الليلِ ، والاستكثارِ مِنَ الِاستغفارِ ، وتحرّي الكسبِ الحلالِ .

ومِنْ أسلوبِ الحكيمِ أَنْ يزيدَ السائلَ ما يرىٰ أنهُ يحتاجُ إليهِ ٱحتياجَهُ إلىٰ ما سألَ عنهُ ؛ ولذا فقدْ زادَ الإمامُ في جوابهِ شرحاً لحقيقةِ التربيةِ ، وبيّنَ صفاتِ المربّي الذي يَصلُحُ لها .

وختمَ بالدعاءِ والتضرُّعِ إلى اللهِ العليِّ العظيمِ ؛ إجابةً لطلبِ السائلِ ، وإرادةً لختمِ كتابهِ بمُخِّ العبادةِ .

واقتداءً بهِ أختِمُ هٰذهِ التوطئةَ بينَ يدي « أيُّها الولدُ » بالتضرُّع إلى اللهِ الجليلِ :

أَنْ يُكْرِمَنا بالاقتداءِ بسنَّةِ سيِّدِ المرسلينَ المصطفى الكريمِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأَنْ يُرِيَنا الحقَّ حقّاً ويرزقَنا اتّباعَهُ ، ويُرِيَنا الباطلَ باطلاً ويرزقَنا اجتنابَهُ ، وأَنْ يجعلَنا مِنَ المفلحينَ ، المقبلينَ على اللهِ ، ومِنَ المقبولينَ ، آمينَ ، اللهمَّ آمينَ .

وصلّى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم

الناشر

ترجمة
الإمام المجدد، حجة الإسلام
محمد بن محمد بن محمد الغزالي
رضي الله عنه(١)

(٤٥٠ـ٥٠٥هـ)

هو الإمام زين الدين ، أبو حامد ، محمد بن محمد بن محمد الطوسيّ الطابراني ، الشافعي ، حجة الإسلام ، الغزاليُّ .

ولد بطوسَ سنة (٤٥٠هـ) ، وتوفي أبوه وهو صغير ، وكان قد أوصىٰ به وبأخيه أحمد إلىٰ عمهما الذي ضاقت ذات يده ؛ فأدخلهما المدرسة يتعلَّمان ويتقوَّتان .

قرأ الغزالي رضي الله عنه على الشيخ أحمد بن محمد الراذَكانيّ بطوس .

وسافر إلىٰ جرجان ؛ فقرأ على الشيخ أبي نصر الإسماعيلي ، وعلَّق عنه « التعليقة » .

---

(١) أهم مصادر الترجمة : « تاريخ دمشق » (٥٥/ ٢٠٠) ، « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٣٢٢) ، « طبقات الشافعية » للسبكي (٦/ ١٩١) ، « إتحاف السادة المتقين » (١/ ٦) ، وقد ترجمنا للغزالي رحمه الله ترجمة ضافية في طبعتنا لكتاب « إحياء علوم الدين » .

ثم قدم نيسابور ، ولازم الإمام أبا المعالي الجوينيَّ إمام الحرمين وتخرَّج به ، وعرض عليه باكورة مؤلفاته « المنخول » في أصول الفقه .

ولما توفي الجويني . . خرج إلى المعسكر ، وجالس الوزير نظام الملك ، ونال لديه القبول ، وبرع في المناظرة حتىٰ ظهر اسمه في الآفاق ، فأُرسل إلىٰ بغداد للتدريس في المدرسة النظامية بها سنة (٤٨٤هـ) .

وفي أثناء تدريسه ببغداد تفرغ للتأليف ، وكثرت مؤلفاته ، وعلت شهرته حتىٰ أضحىٰ يُشار إليه بالبنان .

اعتزالُهُ النّاسَ وتأليفُهُ «الإحياءَ»

ثم جاءته السعادة الحقيقية ؛ فسلك طريق الزهد والتألُّه ، وخرج من جميع ما كان فيه ، وتركه وراء ظهره ، وقصد بيت الله الحرام ، فخرج إلى الحج سنة (٤٨٨هـ) .

ثم دخل دمشق سنة (٤٨٩هـ) ، فأقام بها نحو عشر سنين ، أخذ نفسه فيها بالرياضة ، ووقف أوقاته علىٰ هداية الخلق ، وألف فيها كتابه النفيس « إحياء علوم الدين » .

ثم عاد إلىٰ طوس ، فاستدعاه فخر الملك إلىٰ نيسابور ، فدرَّس بها في المدرسة النظامية .

ثم ترك التدريس ، وعاد إلىٰ بيته موزِّعاً وقته بين تلاوة القرآن ،

والتدريس والإفادة ، والنصح والإرشاد ، إلىٰ أن وافته المنية بطوس سنة (٥٠٥هـ) .

بعضُ مؤلفاتِهِ رضي الله عنه

ترك الإمام الغزالي رضي الله عنه مؤلفاتٍ مشهورةً لم يسبق إليها ، من تأملها . . علم فضله وقَدْره في فنون العلم ، وقد قيل : (أُحصيَتْ كتب الغزالي التي صنفها ، ووزعت علىٰ عمره ؛ فخصت كل يوم أربع كراريس ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) .

ومن هـٰذه المؤلفات النافعة :

« إحياء علوم الدين » ، و« الاقتصاد في الاعتقاد » ، و« مقاصد الفلاسفة » ، و« بداية الهداية » ، و« تهافت الفلاسفة » ، و« المنقذ من الضلال » ، و« المنخول » ، و« المستصفىٰ » ، و« البسيط » ، و« الوسيط » ، و« الوجيز » ، و« الخلاصة »[1]

رضي الله عنه ، وأكرم مثواه ، ونفع بعلومه
إنه خير مسؤول

(١) وقد أكرم الله سبحانه وتعالىٰ دار المنهاج بخدمة بعض كتب هـٰذا الإمام الجليل ؛ وأهمها : « إحياء علوم الدين » ، و« الاقتصاد في الاعتقاد » ، و« بداية الهداية » ، و« المنقذ من الضلال » ، و« الخلاصة » ، ونسأل الله أن يتمم نعمته علينا بخدمة جميع كتب هـٰذا الإمام العبقري رضي الله عنه .

وصف النسخ الخطية

النسخة الأولىٰ : من محفوظات المكتبة السليمانية بإستنبول ، تحمل الرقم (١٨٦٤) ضمن مجموع ، مكونة من (٩) ورقات ؛ تبدأ من الورقة (٤٠) وتنتهي في الورقة (٤٨) .

خطها فارسي جيد ، وعدد سطور الصفحة الواحدة (٢٥) سطراً ، وعدد الكلمات في كل سطر (٨) كلمات تقريباً .

وناسخها : طور علي بن عبد الرحمٰن الآيدينيّ ، المتوفىٰ سنة (٨٧٣هـ) .

وقد رمزنا لها بـ(أ) .

النسخة الثانية : من محفوظات مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض ، تحمل الرقم (٦٤٣٤) ، وهي مؤلفة من (١٥) ورقة .

خطها فارسي مستعجل ، وعدد سطور الصفحة الواحدة (١٣) سطراً ، وعدد الكلمات في كل سطر (٨) كلمات تقريباً .

وتاريخ نسخها سنة (١٠٠٤هـ) .

وقد رمزنا لها بـ(ب) .

النسخة الثالثة : من محفوظات مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض ، تحمل الرقم (١٥٤٧) ، وهي نسخة مضبوطة مؤلفة من (٢٣) ورقة .

خطها نسخي جيد ، وعدد سطور الصفحة الواحدة (١٣) سطراً ، وعدد الكلمات في كل سطر (٨) كلمات تقريباً .

وتاريخ نسخها (١١٢٣هـ) .

وقد رمزنا لها بـ(ج) .

النسخة الرابعة : من محفوظات المكتبة الأزهرية ، وهي نسخة مضبوطة مؤلفة من (٢٣) صفحة .

خطها نسخي حسن ، وعدد سطور الصفحة الواحدة (١١) سطراً ، وعدد الكلمات في كل سطر (٧) كلمات تقريباً .

وقد رمزنا لها بـ(د) .

النسخة الخامسة : من محفوظات المكتبة الأزهرية ، تحمل الرقم (٧٠ خصوصي/ ٤٤٦٠ عمومي ، تصوف) ، مؤلفة من (١٣) ورقة .

خطها نسخي جيد ، وعدد سطور كل صفحة (١٥) سطراً ، وعدد الكلمات في السطر الواحد (٩) كلمات تقريباً .

وقد رمزنا لها بـ(هـ) .

النسخة السادسة : من محفوظات معهد دراسات الثقافة الشرقية بجامعة طوكيو ، تحمل الرقم (٢٢٩٩) ، وهي مؤلفة من (١٠) ورقات .

خطها نسخي جيد ، وعدد سطور الصفحة الواحدة (١٩) سطراً ، وعدد الكلمات في السطر الواحد (٩) كلمات تقريباً .

وقد رمزنا لها بـ(و) .

النسخة السابعة : من محفوظات مكتبة جامعة الملك سعود ، تحمل الرقم (٢٤٠٠) ، وهي ضمن مجموع فيه عشر رسائل ، مكونة من (١١) ورقة ؛ تبدأ من الورقة (٤) وحتى الورقة (١٤) .

خطها نسخي معتاد ، وعدد سطور الصفحة الواحدة (٢١) سطراً ، وعدد الكلمات في كل سطر (٨) كلمات تقريباً .

وتاريخ نسخها (١٠٩٥هـ) .

وقد رمزنا لها بـ(ز) .

النسخة الثامنة : نسخة الشرح ، وهي من محفوظات المكتبة الأزهرية ، تحمل الرقم (٨١٦ آداب وفضائل) ٤٢٩٩٧ ، مؤلفة من (٨٥) ورقة . وهي نسخة كاملة مفيدة نفيسة .

خطها نسخي معتاد ، وعدد سطور الصفحة الواحدة (٢١) سطراً ، وعدد الكلمات في السطر الواحد (١٤) كلمة تقريباً .

وهي شرح علىٰ رسالة « أيها الولد » ، سماها مؤلفها الشيخ عبد الرحمـٰن بن أحمد بن عمر ، الشهير بصبري بـ : « أيها الأخ شرح أيها الولد » .

ميز فيها المتن بوضع خط أعلاه .

منهج العمل في الكتاب

اعتمدنا في إخراج هٰذا الكتاب اللطيف النافع علىٰ سبع نسخٍ خطية ، وعلىٰ نسخة الشرح الموسومة بـ « أيها الأخ » .

واتبعنا الخطوات التالية :

ـ نسخنا الكتاب ، وقابلناه علىٰ أصوله الخطية ، وأثبتنا بعض الفروق مما له أهمية ، ولاحظنا كثرة فروق النسخ ، وسبب ذلك : أن منها ما جُرِّد من شروح للكتاب ، أو وضع بهامشها جمل أو كلمات تناسب المعنىٰ ، ويضاف إلىٰ ذلك : عجمة بعض ناسخيها ، فبذلنا الجهد للترجيح بين هٰذه الفروق ، ونسأل الله أن نكون قد وفقنا لإثبات الصواب .

ـ وضعنا الآيات القرآنية بالرسم العثماني ؛ تحاشياً من الخطأ في ضبطها ، وجعلناها من رواية حفص عن عاصم رحمهما الله تعالىٰ .

ـ خرجنا الأحاديث النبوية والأخبار من مصادرها الأصلية بقدر الوسع .

ـ نسبنا الأشعار لقائليها مع بيان وزنها العروضي .

ـ أضفنا تسهيلاً على القارىء عناوينَ للفقرات والأفكار تدلُّ

علىٰ فحواها ، وتيسّر الوصول إليها ، وجعلناها بجانب الصفحات .

ـ استعنّا في ضبط بعض الكلمات ، وترجيح بعض النسخ ، وشرح الكلمات الفارسية بمخطوطة « أيها الأخ شرح أيها الولد » للعلامة عبد الرحمـٰن بن أحمد بن عمر الرومي ، الشهير بـ : صبري (ت ١١٣٩هـ) .

ـ زينا الكتاب بعلامات الترقيم المناسبة ، ووشيناه بالشكل ؛ تيسيراً على القارىء .

ـ صنعنا فهرساً لمحتويات الكتاب .

نسأل الله العلي العظيم : أن يكرمنا وكُلَّ مَن قرأ في هـٰذا الكتاب بالإخلاص وحسن التوكل ، وسلوك طريق التربية ورياضة النفس ؛ لتلين في عبادة الله تعالىٰ ، وأن يختم لنا بخير ، ويحشرنا تحت لواء سيد المرسلين .

وصلّى الله على سيدنا محمّدٍ وآله وسلّم

اللجنة العلمية
بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي
بإشراف
محمد غسان نضوح عزقول الحسيني

٢٨ جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ
١٩ مايو ـ أيار ٢٠١٢م

صور المخطوطات المستعان بها في الكتاب

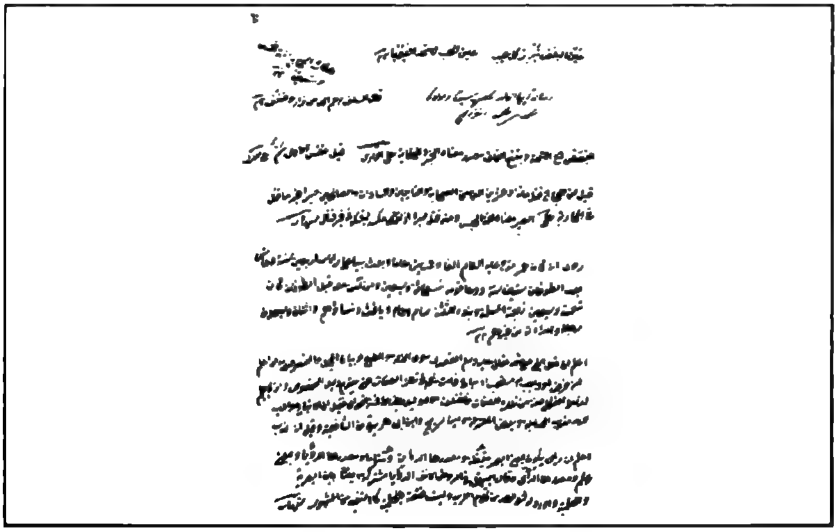

راموز ورقة العنوان للنسخة (أ)

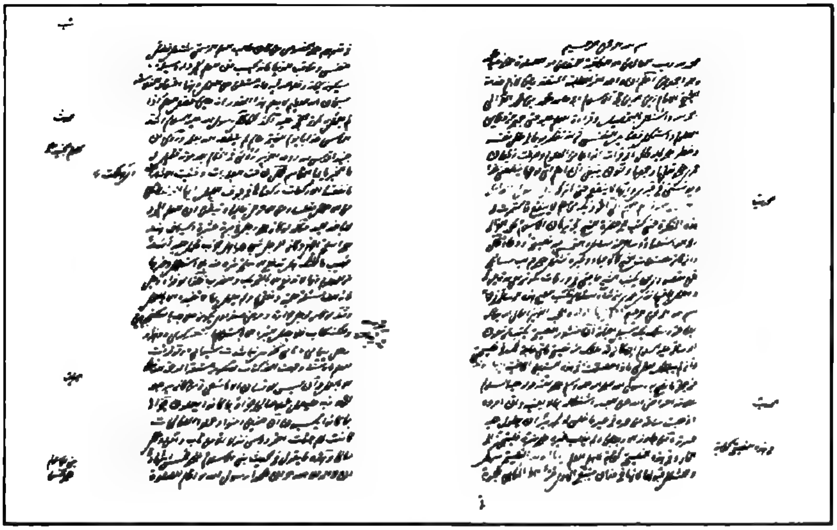

راموز الورقة الأولى للنسخة (أ)

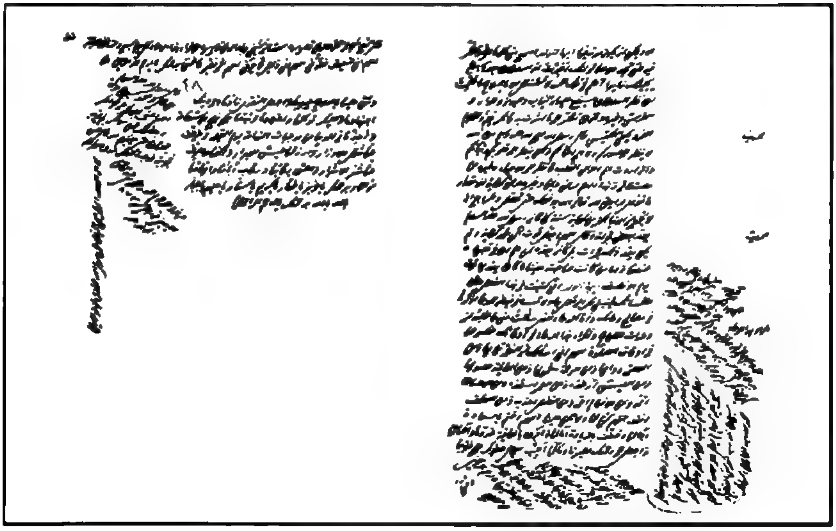

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (أ)

راموز الورقة الأولى للنسخة (ب)

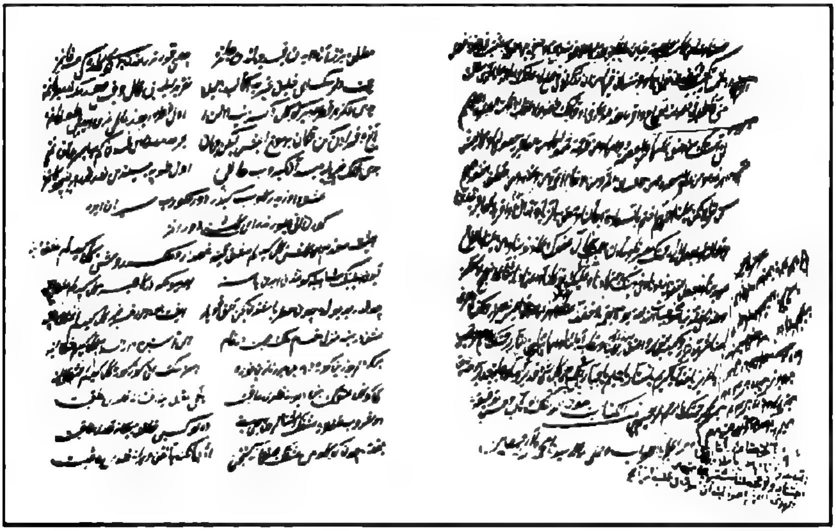

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ب)

كتاب أيها الولد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على نبيه محمد وآله وصحبه أجمعين

راموز الورقة الأولى للنسخة (ج)

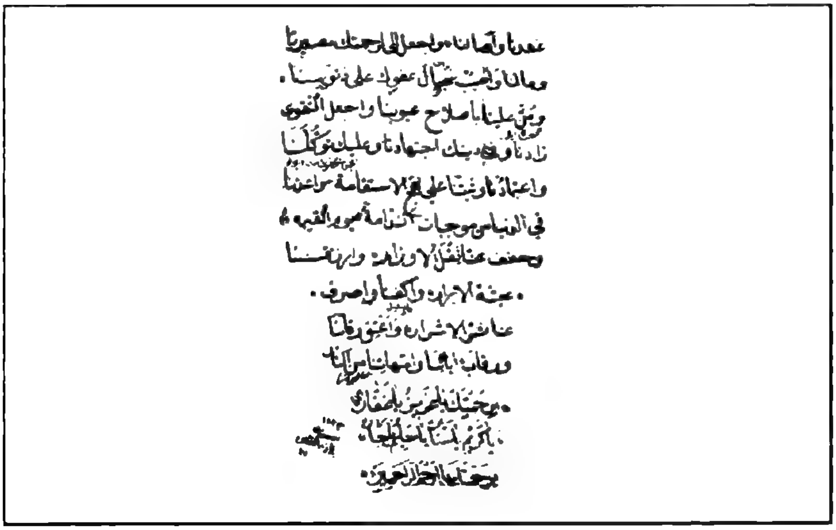

رامز الورقة الأخيرة للنسخة (ج)

رامز الورقة الأولى للنسخة (د)

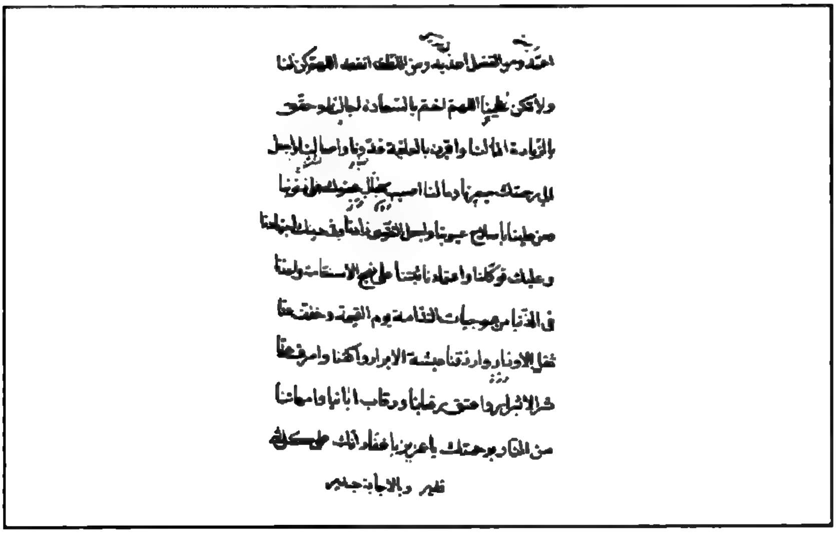

الحمد ومن الفضل أعذبه ومن اللطف أنفعه اللهم كن لنا
ولا تكن علينا اللهم اختم بالسعادة آجالنا وحقق
بالزيادة آمالنا واقرن بالعافية غدونا وآصالنا واجعل
إلى رحمتك مصيرنا ومآلنا واصبب سجال عفوك على ذنوبنا
ومن علينا بإصلاح عيوبنا واجعل التقوى زادنا وفي دينك اجتهادنا
وعليك توكلنا واعتمادنا ثبتنا على نهج الاستقامة وأعذنا
في الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامة وخفف عنا
ثقل الأوزار وارزقنا عيشة الأبرار واكفنا واصرف عنا
شر الأشرار واعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا
من النار برحمتك يا عزيز يا غفار إنك على كل شيء
قدير وبالإجابة جدير

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (د)

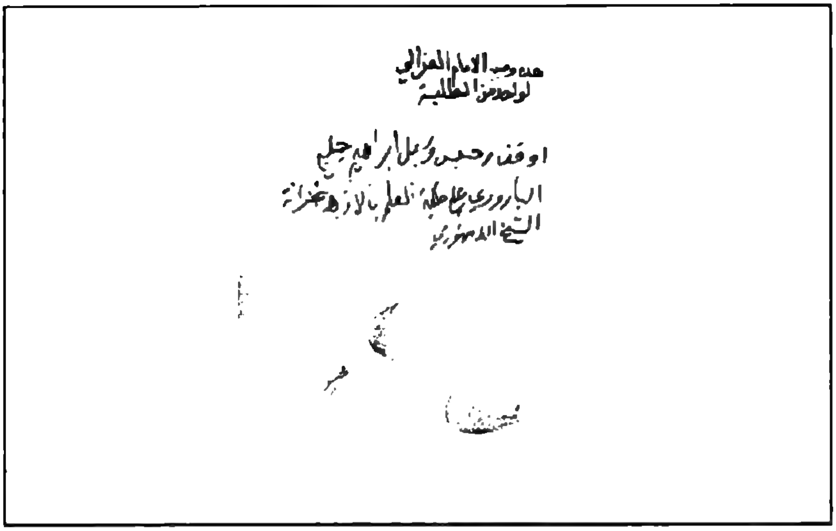

هذه وصية الإمام الغزالي
لواحد من الطلبة

أوقف رحمه وكيل إبراهيم جلبي
الباروري على طلبة العلم بالأزهر بخزانة
الشيخ الدمهوجي

راموز ورقة العنوان للنسخة (هـ)

راموز الورقة الأولى للنسخة (هـ)

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (هـ)

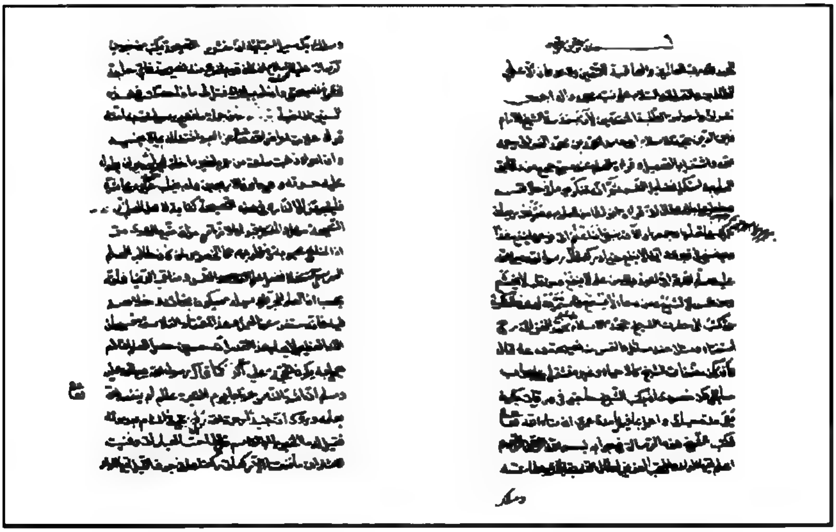

راموز الورقة الأولى للنسخة (و)

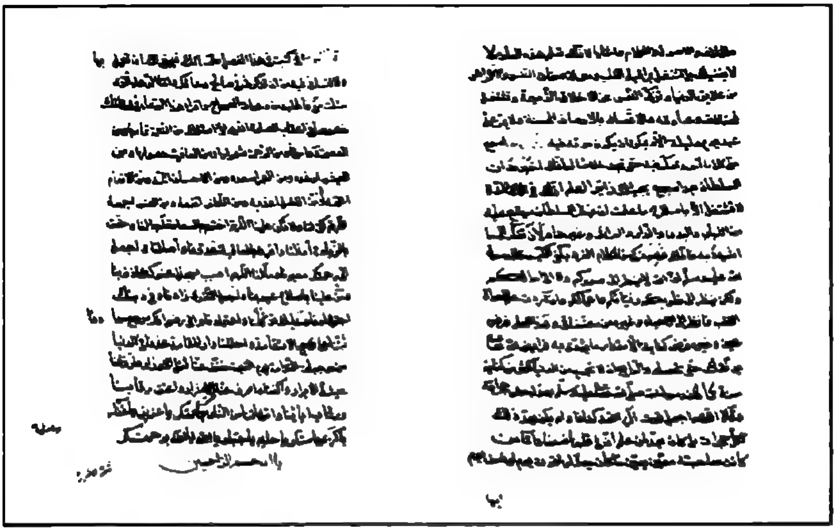

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (و)

راموز الورقة الأولى للنسخة (ز)

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ز)

أيها الولد

تأليف

الإمام المجدِّد، حجة الإسلام والمسلمين

زين الدين، أبي حامد

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي

الطوسي الطابراني الشافعي

رضي الله عنه

(٤٥٠-٥٠٥هـ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، والعاقبةُ للمتَّقينَ ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ نبيِّهِ محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ .

سببُ تأليفِ هٰذهِ الرسالةِ

اَعلمْ : أنَّ واحداً مِنَ الطلَبةِ المتقدِّمينَ ، لازمَ خدمةَ الشيخِ الإمامِ زَيْنِ الدينِ ، حُجَّةِ الإسلامِ : أبي حامدٍ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ الغزاليِّ رحمَهُ اللهُ ، واَشتغلَ بالتحصيلِ وقراءةِ العلمِ عليهِ ؛ حتَّىٰ جمعَ مِنْ دقائقِ العلومِ ، واَستكملَ فضائلَ النفسِ .

أولُ الهدايةِ خاطرٌ

ثُمَّ إنَّهُ تفكَّرَ يوماً في حالِ نفسِهِ ، وخطرَ علىٰ بالِهِ ، فقالَ :

إنِّي قرأتُ أنواعاً مِنَ العلومِ ، وصرفتُ رَيْعانَ عُمري علىٰ تعلُّمِها وجمعِها ، والآنَ ينبغي أَنْ أعلمَ أيُّ نوعِها ينفعُني غداً ، ويؤنسُني في قبري ؟ وأيُّها لا ينفعُ حتَّىٰ أتركَهُ ؟ كما قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اَللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ »[1]

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٢) عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه ، وأبو داوود (١٥٤٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي (ج ، ز ، و) زيادة : (ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعاء لا يسمع) .

فَٱستمرَّتْ لهُ هـٰذهِ الفكرةُ ؛ حتَّىٰ كتبَ إلىٰ حضرةِ الشيخِ حُجَّةِ الإسلامِ محمَّدٍ الغزاليِّ رحمَهُ اللهُ ٱستفتاءً ، وسألَ عنْهُ مسائلَ ، وٱلتمسَ منْهُ نصيحةً ودعاءً .

من معادةِ المرءِ وجودُ الطبيبِ الحاذقِ

قالَ : وإنْ كانَ مصنَّفاتُ الشيخِ كـ« الإحياءِ » وغيرِهِ تشتمِلُ علىٰ جوابِ مسائلي ؛ لـٰكنْ مقصودي : أنْ يكتبَ الشيخُ حاجتي في وَرَقاتٍ تكونُ معي مُدَّةَ حياتي ، وأعملُ بما فيها مُدَّةَ عُمري إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

وجودُ التآليفِ لا تغني عنِ الشيخِ

فكتبَ الشيخُ هٰذهِ الرسالةَ في جوابهِ[1] :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

منبع النصيحة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم

ٱعلمْ أيُّها الولدُ والمحبُّ العزيزُ ـ أطالَ اللهُ بقاءَكَ بطاعتِهِ ، وسلكَ بكَ سبيلَ أحبّائِهِ ـ : أنَّ منشورَ النصيحةِ يُكتَبُ مِنْ مَعدِنِ الرسالةِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ؛ إنْ كانَ قَدْ بلغَكَ منْهُ نصيحةٌ . . فأيُّ حاجةٍ لكَ في نصيحتي ؟!

وإنْ لَمْ تبلغْكَ . . فقلْ لي : ماذا حصَّلتَ في هٰذهِ السنينَ الماضيةِ ؟!

أيُّها الوَلَدُ

الاشتغالُ بما لا يَعني هو علامةُ إعراضِ اللهِ تعالىٰ عنِ العبدِ

مِنْ جملةِ ما نصحَ بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أُمَّتَهُ قولُهُ : « عَلامَةُ إِعْرَاضِ ٱللهِ عَنِ ٱلْعَبْدِ . . ٱشْتِغَالُهُ بِمَا لاَ يَعْنِيهِ »[2] .

---

(١) هٰذه الديباجة المارة من وضع الذين وقفوا على الرسالة انظر « أيها الأخ » (ق/ ٢) .

(٢) رواه الدارقطني في « المؤتلف والمختلف » (٣/ ١٦٩١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/ ١٣٤) من قول غُرَيف اليمانيّ أحد الزهّاد رحمه الله تعالىٰ .

و : « إِنَّ ٱمْرَأً ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنْ عُمُرِهِ فِي غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ.. لَجَدِيرٌ أَنْ تَطُولَ عَلَيْهِ حَسْرَتُهُ »(١)

و : « مَنْ جَاوَزَ ٱلْأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَغْلِبْ خَيْرُهُ عَلَىٰ شَرِّهِ.. فَلْيَتَجَهَّزْ إِلَى ٱلنَّارِ »(٢)

وفي هٰذهِ النصيحةِ كفايةٌ لأهلِ العلمِ .

أيُّها الولدُ

العلمُ عملٌ وليسَ مجرَّدَ وسيلةٍ

النصيحةُ سهلٌ ، والمُشكِلُ قَبولُها ؛ لأنَّها في مَذاقِ متَّبعِي الهوىٰ مرٌّ ؛ إذِ المَناهي محبوبةٌ في قلوبِهِمْ ، على الخصوصِ مَنْ كانَ طالبَ العلمِ الرسميِّ ، مشتغلَ فضلِ النفسِ ومناقبِ الدنيا ؛ فإنَّهُ يحسَبُ أنَّ العلمَ المجرَّدَ لهُ وسيلةٌ ، سيكونُ نجاتُهُ وخلاصُهُ فيهِ ، وأنَّهُ مستغنٍ عنِ العملِ ، وهٰذا اعتقادُ الفلاسفةِ .

حجةُ اللهِ آكدُ علىٰ تاركِ العملِ

سبحانَ اللهِ العظيمِ !! لا يعلمُ هٰذا القدرَ أنَّهُ حينَ حصَّلَ العلمَ إذا لَمْ يعملْ بهِ.. تكونُ الحُجَّةُ عليهِ آكدَ ؛ كما قالَ رسولُ اللهِ

---

(١) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٨٤٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٢/ ١٤٣) من قول الحجاج بن يوسف .

(٢) أورده الديلمي في « الفردوس » (٥٥٤٤) عن سيدنا علي رضي الله عنه ، ورواه ابن بَشْكُوال في « الصلة » (٢/ ٥٥٢) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . . عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ ٱللهُ بِعِلْمِهِ »(١) .

الإخلاصُ هوَ النافعُ وغيرُهُ يَفنى

ورُوِيَ أنَّ جُنيداً قدَّسَ اللهُ روحَهُ العزيزَ رُئِيَ في المنامِ بعدَ موتِهِ ، فقِيلَ لهُ : (ما الخبرُ يا أبا القاسمِ ؟ قالَ : طاحَتِ العِباراتُ ، وفنيَتِ الإشاراتُ ، وما نفعَتْنا إلا رَكَعاتٌ ركَعْناها في جَوفِ الليلِ)(٢)

أيها الولد

أمثلةٌ لبيانِ وجوبِ العملِ بالعلمِ

لا تكنْ مِنَ الأعمالِ مفلساً ، ومِنَ الأحوالِ خالياً ، وتيقَّنْ أنَّ العلمَ المجرَّدَ لا يأخذُ اليدَ .

مثالُهُ : لوْ كانَ علىٰ رَجُلٍ في بريَّةٍ عشَرةُ أسيافٍ هنديَّةٍ معَ أسلحةٍ أُخرىٰ ، وكانَ الرجلُ شجاعاً وأهلَ حربٍ ، فحملَ عليهِ أسدٌ مَهيبٌ . . ما ظنُّكَ ؟

العلمُ بلا عملٍ كالسيفِ بلا يدٍ

هلْ تدفعُ الأسلحةُ شرَّهُ منْهُ بلا استعمالِها وضربِها ومِنَ

---

(١) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٩٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٦٤٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٧/٥٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٢٥٦) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٥٦/٧) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٥٧/١٠) جميعهم بألفاظ متقاربة ، والرائي : هو جعفر بن محمد الخُلْدي .

المعلومِ أنَّها لا تدفعُ إلا بالتحريكِ والضربِ ؟!

فكذا لوْ قرأَ رجلٌ مئةَ ألفِ مسألةٍ علميَّةٍ وعلَّمَها وتعلَّمَها ولمْ يعملْ بها . . لا تفيدُهُ إلاَّ بالعملِ .

العلمُ لا ينفعُ بلا عملٍ

ومثالُهُ : لوْ كانَ لرجلٍ حرارةٌ ومرضٌ صَفراويٌّ . . يكونُ علاجُهُ بالسِّكَنْجُبينِ والكَشْكابِ[1]

فلا يحصلُ البُرءُ إلا بٱستعمالِهما .

كَرْ مَيْ دُو هَزَار رِطْل پَيْمايي   تا مَيْ نَخُوري نَبا شَدَتْ شيدايي[2]

العلمُ الكثيرُ بلا عملٍ ليس أهلاً لرحمةِ اللهِ تعالىٰ

ولوْ قرأتَ العلمَ مئةَ سنةٍ ، وجمعتَ ألفَ كتابٍ . . لا تكونُ مستعدّاً لرحمةِ اللهِ تعالىٰ إلاَّ بالعملِ ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ .

فمَنْ قالَ : إنَّ هٰذهِ الآيةَ منسوخةٌ بقولِهِ عليهِ السلامُ : « إِذَا مَاتَ ٱبْنُ آدَمَ . . ٱنْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ . . . » الحديثَ[3] . . فالمنسوخُ هوَ هٰذا القائلُ .

ولئنْ كانتْ منسوخةً . . فما تقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَمَن كَانَ

---

(١) السكنجبين : خليط من خلّ وعسل ، والكشكاب : ماء الشعير .

(٢) هٰذا بيت شعر بالفارسية من مسدّس الهزج .

وحاصل معناه : إن كِلْتَ ألفي رِطلٍ خمراً . . لا تكون سكرانَ ومجنوناً ما لم تشربْها . انظر « أيها الأخ شرح أيها الولد » (ق/ ١٤ـ ١٥) .

(٣) رواه مسلم (١٦٣١) ، وأبو داوود (٢٨٨٠) ، والترمذي (١٣٧٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ ، ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ ، ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ ، ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ ؟!

الأعمالُ التكليفيّةُ دليلٌ علىٰ وجوبِ العلمِ بالعملِ

وما تقولُ في هٰذا الحديثِ : « بُنِيَ ٱلْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ ٱللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللهِ ، وَإِقَامِ ٱلصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ ٱلزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً » ؟[1]

والإيمانُ : قولٌ باللسانِ ، وتصديقٌ بالجَنانِ ، وعملٌ بالأركانِ .

ودليلُ الأعمالِ أكثرُ مِنْ أنْ يُحصىٰ ، وإن كانَ العبدُ يبلغُ الجنَّةَ بفضلِ اللهِ وكرمِهِ ، ولٰكنْ بعدَ أنْ يستعدَّ بطاعتِهِ وعبادتِهِ ؛ لأنَّ رحمةَ اللهِ قريبٌ مِنَ المحسنينَ .

الردُّ علىٰ شبهةِ أنَّ الإيمانَ بلا عملٍ كافٍ لدخولِ الجنَّةِ

ولوْ قِيلَ : يبلغُ أيضاً بمجرَّدِ الإيمانِ .

قلْنا : نعمْ ؛ لٰكنْ متىٰ يبلغُ ؟ كَمْ مِنْ عَقَبةٍ كَؤُودٍ تستقبلُهُ إلىٰ أنْ يصلَ ؟!

أوَّلُ تلكَ العقَباتِ : عقَبةُ الإيمانِ ؛ أنَّهُ هلْ يسلَمُ مِنَ السَّلْبِ ،

---

(١) رواه البخاري (٨) ، ومسلم (١٦) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

أمْ لا ؟ وإذا وصلَ . . يكونُ جَنِّياً مفلساً[1] .

قالَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ : (يقولُ اللهُ تعالىٰ لعبادِهِ يومَ القيامةِ : أُدخُلُوا الجنَّةَ برحمتي ، واْقتسِمُوها بقَدْرِ أعمالِكُمْ)[2]

أيها الولد

لا بدَّ مِنَ العملِ ولا وصولَ إلاَّ بهِ

ما لمْ تعملْ . . لمْ تجِدِ الأجرَ .

حُكِيَ أنَّ رجلاً في بني إسرائيلَ عبَدَ اللهَ تعالىٰ سبعينَ سنةً ، فأرادَ اللهُ تعالىٰ أنْ يَجلُوَهُ على الملائكةِ ، فأرسلَ اللهُ تعالىٰ إليهِ مَلَكاً يُخبرُهُ : أنَّهُ مَعَ تلكَ العبادةِ لا يليقُ بِهِ الجنَّةُ .

إنما خلقنا للعبادة

فلمَّا بلَّغَهُ . . قالَ العابدُ : نحنُ خُلِقْنا للعبادةِ ، فينبغي لنا أنْ نعبُدَهُ .

فلمَّا رجعَ المَلَكُ . . قالَ اللهُ تعالىٰ : ماذا قالَ عبدِي ؟ قالَ : إلٰهي ؛ أنتَ أعلمُ بما قالَ العبدُ .

---

(١) جَنِّياً ـ بفتح الجيم ، وتشديد النون المكسورة ، وبياء النسبة ـ : منسوباً إلى الجنة .

(٢) أورده القرطبي في « التذكرة » (٢/ ٧٩٤) ، ورواه الحافظ ابن كثير في « الفتن والملاحم » الملحق بـ« البداية والنهاية » (١٧/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣) بإسناد ابن أبي الدنيا عن سيدنا أنس رضي الله عنه مرفوعاً ؛ ولفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالىٰ يوم القيامة للمؤمنين : جوزوا النار بعفوي ، وادخلوا الجنة برحمتي ، فاقتسموها بفضائل أعمالكم » .

فقالَ اللهُ تعالىٰ : إذاً هوَ لمْ يُعرِضْ عنْ عبادتِنا ؛ فنحنُ معَ الكرَمِ لا نُعرِضُ عنْهُ ، اشهَدُوا يا ملائكتي أنِّي قدْ غفرتُ لهُ .

مَنْ لَم يعرِضْ عنِ اللهِ لَنْ يُعرِضَ اللهُ عنهُ

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا »(1)

وقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : (مَنْ ظنَّ أنَّهُ بدونِ الجَهْدِ يصِلُ . . فهُوَ مُتمَنٍّ ، ومَنْ ظنَّ أنَّهُ ببَذْلِ الجَهْدِ يصِلُ . . فهُوَ مُتعَنٍّ)(2)

وقالَ الحسنُ رحمَهُ اللهُ : (طلَبُ الجنَّةِ بلا عملٍ . . ذنبٌ مِنَ الذنوبِ)(3)

وقالَ عالِمٌ : (الحقيقةُ : تركُ ملاحظةِ العملِ ، لا تركُ العملِ) .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اَلْكَيِّسُ مَنْ دَانَ

---

(1) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٠٦) ، والإمام أحمد في « الزهد » (٦٣٣) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٦٠٠) موقوفاً علىٰ سيدنا عمر رضي الله عنه .

(2) أورده في « قوت القلوب » (١/ ١٠٠) .

(3) رواه أبو عبد الرحمـٰن السُّلَميّ في « طبقات الصوفية » (ص٨٩) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨/ ٣٦٧) من قول معروف الكرخي رحمه الله تعالىٰ ، وذكره الثعلبي في « تفسيره » (٣/ ١٧٠) عن شهر بن حوشب رحمه الله تعالىٰ .

نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ ، وَٱلْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّىٰ عَلَى ٱللهِ »(١)

أيُّها الوَلَدُ

ضرورةُ تحريرِ النيّةِ في طلبِ العلمِ

كَمْ مِنْ ليالٍ أحييتَها بتكرارِ العلمِ ومطالعةِ الكُتبِ ، وحرَّمتَ علىٰ نفسِكَ النومَ ، لا أعلمُ ما كانَ الباعثُ فيهِ ؟!

الويلُ لمَنْ طلبَ الدنيا بالآخرةِ

إنْ كانَ نيتُكَ نَيلَ عَرَضِ الدنيا ، وجَذبَ حُطامِها ، وتحصيلَ مَناصبِها ، والمُباهاةَ على الأقرانِ والأمثالِ . . فويلٌ لكَ ، ثُمَّ ويلٌ لكَ .

وإنْ كانَ قصدُكَ فيهِ إحياءَ شريعةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وتهذيبَ أخلاقِكَ ، وكسرَ النفسِ الأمَّارةِ بالسوءِ . . فطُوبىٰ لكَ ، ثُمَّ طُوبىٰ لكَ .

ولقدْ صدقَ مَنْ قالَ(٢) : [من الكامل]

سَهَرُ ٱلْعُيُونِ لِغَيْرِ وَجْهِكَ ضَائِعٌ ... وَبُكَاؤُهُنَّ لِغَيْرِ فَقْدِكَ بَاطِلُ

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٩) ، وابن ماجه (٤٢٦٠) عن سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنهما .

(٢) أورد البيت في « الضوء اللامع » (٨/ ٣٢) ، و« الكشكول » (٢/ ١٨٥) ، وعزاه بعضهم لخالد بن يزيد البغدادي الكاتب .

أيها الولد

عِشْ ما شئتَ ؛ فإنَّكَ ميِّتٌ ، وأحبِبْ مَنْ شئتَ ؛ فإنَّكَ مُفارِقُهُ ، واْعمَلْ ما شئتَ ؛ فإنَّكَ مَجزيٌّ بهِ .

أيها الولد

ما فائدةُ العلمِ مِن غيرِ عملٍ

أيُّ شيءٍ حاصلُكَ مِنْ تحصيلِ علمِ الكلامِ والخلافِ ، والطبِّ ، والدواوينِ والأشعارِ ، والنجومِ والعَروضِ ، والنحوِ والتصريفِ غيرَ تضييعِ العُمرِ ؟! بجلالِ ذي الجلالِ .

مراقبةُ اللهِ قبلَ مراقبةِ الخَلقِ

إنِّي رأيتُ في إنجيلِ عيسىٰ عليه السلامُ قالَ : مِنْ ساعةِ أنْ يُوضَعَ الميتُ على الجنازةِ إلىٰ أنْ يُوضَعَ علىٰ شَفيرِ القبرِ يسألُ اللهُ تعالىٰ بعظمتِهِ منْهُ أربعينَ سؤالاً ؛ أوَّلُه : يقولُ اللهُ تعالىٰ : عبدي ؛ طهَّرتَ منظرَ الخلقِ سنينَ ، وما طهَّرتَ منظري ساعةً ، وكلَّ يومٍ ننظرُ في قلبِكَ !!

يقولُ اللهُ تعالىٰ : ما تصنعُ بغيري وأنتَ محفوفٌ بخيري ؟! أَمَا أنتَ أصمُّ لا تسمعُ .

أيها الولد

العلمُ والعملُ لا ينفكان

العلمُ بلا عملٍ جنونٌ ، والعملُ بلا علمٍ لا يكونُ .

واْعلَمْ : أنَّ عِلماً لا يُبعدُكَ اليومَ عنِ المعاصي ، ولا يحملُكَ

على الطاعةِ . . لنْ يُبعدَكَ غداً عنْ نارِ جهنَّمَ .

وإذا لمْ تعمَلِ اليومَ ، ولمْ تَدارَكِ الأيَّامَ الماضيةَ . . تقولُ غداً يومَ القيامةِ : ﴿ فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾ ، فيُقالُ : يا أحمقُ ؛ أنتَ مِنْ هناكَ تجيءُ .

لا يمكنُ إرجاعُ ما فاتَ مِنَ العمرِ إذا فاتَ

أيُّها الولدُ

لزومُ تكبيرِ الهِمَمِ

ٱجعلِ الهِمَّةَ في الرُّوحِ ، والهزيمةَ في النفسِ ، والموتَ في البدَنِ ؛ لأنَّ منزلَكَ القبرُ ، وأهلُ المقابرِ ينتظرونَكَ في كلِّ لحظةٍ متىٰ تصلُ إليهِمْ .

إيَّاكَ ثُمَّ إيَّاكَ أنْ تصلَ إليهِمْ بلا زادٍ .

قالَ أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ : (هٰذهِ الأجسادُ : إمَّا قَفَصُ الطُّيورِ ، أوْ إصْطَبلُ الدَّاوبِّ) .

اخترْ لنفسِكَ: أعاليَ بروجِ الجنانِ أو هاويةَ النَّارِ

فتفكَّرْ في نفسِكَ مِنْ أيِّهما أنتَ ؟!

إنْ كنتَ مِنَ الطيورِ العُلْويَّةِ . . فحينَ تسمعُ طنينَ طبلِ : ﴿ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ تطيرُ صاعداً إلىٰ أنْ تقعدَ في أعالي بُروجِ الجِنانِ ؛ كما قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱهْتَزَّ عَرْشُ ٱلرَّحْمَـٰنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ »(١)

---

(١) رواه البخاري (٣٨٠٣) ، ومسلم (٢٤٦٦) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

والعياذُ باللهِ تعالىٰ إنْ كنتَ مِنَ الدَّوابِّ ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ . . فلا تأمَنِ انتقالَكَ مِنْ زاويةِ الدارِ إلىٰ هاويةِ النارِ .

ورُوِيَ أنَّ الحسنَ البصريَّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ أُعطِيَ شَرْبةً مِنْ ماءٍ باردٍ ، فلمَّا أخذَ القَدَحَ . . غُشِيَ عليهِ ، وسقطَ مِنْ يدِهِ .

فلمَّا أفاقَ . . قِيلَ لهُ : ما لكَ يا أبا سعيدٍ ؟! قالَ : (ذكرتُ أُمْنيَّةَ أهلِ النارِ حينَ يقولونَ لأهلِ الجنةِ : ﴿ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾)[1]

أيها الولد

كثرةُ النومِ بالليلِ دليلُ الإفلاسِ

لوْ كانَ العلمُ المجرَّدُ كافياً لكَ ، ولا تحتاجُ إلىٰ عمَلٍ سواهُ . . لكانَ نداءُ اللهِ تعالىٰ : « هَلْ مِنْ سَائِلٍ ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ ؟ »[2] ضائعاً بلا فائدةٍ .

ورُوِيَ أنَّ جماعةً مِنَ الصحابةِ رضوانُ اللهِ عليهِمْ أجمعينَ ذكرُوا عبدَ اللهِ بنَ عمرَ عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦/١٨٩) ، وابن رجب في « التخويف من النار » (ص١٥٨) .

(٢) رواه البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (٧٥٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « نِعْمَ ٱلرَّجُلُ هُوَ لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِٱللَّيْلِ »[1]

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لرجلٍ مِنْ أصحابِهِ : « يَا فُلَانُ ؛ لَا تُكْثِرِ ٱلنَّوْمَ بِٱللَّيْلِ ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ ٱلنَّوْمِ بِٱللَّيْلِ تَدَعُ صَاحِبَهُ فَقِيراً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[2]

أيها الولد

الحثُّ علىٰ إحياء وقتِ السَّحَرِ

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ ﴾ : أمرٌ ، ﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ : شكرٌ ، ﴿ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴾ : ذكرٌ[3]

ثلاثةُ أصواتٍ يحبُّها اللهُ تعالىٰ

قالَ النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ثَلَاثَةُ أَصْوَاتٍ يُحِبُّهَا ٱللهُ تَعَالَىٰ : صَوْتُ ٱلدِّيكِ ، وَصَوْتُ ٱلَّذِي يَقْرَأُ ٱلْقُرْآنَ ، وَصَوْتُ ٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ »[4]

---

(١) رواه البخاري (١١٢٢) ، ومسلم (٢٤٧٩) .

(٢) رواه ابن ماجه (١٣٣٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٤١٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢/ ٢٧٦) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٣) فالعامل وغير العامل لا يستويان ؛ إذ لو كانا متساويين . . لما مدح الله تعالىٰ وذكر عباده الذين يتهجدون بالليل ويستغفرون بالأسحار في كتابه الكريم . انظر « أيها الأخ » (ق/ ٣١) .

(٤) أورده الديلمي في « الفردوس » (٢٥٣٨) ، والثعلبي في « تفسيره » (٣/ ٣٠) عن السيدة أم سعد بنت زيد بن ثابت رضي الله عنهما .

لله تعالىٰ ريحٌ عندَ السَّحَرِ تحمِلُ الذِّكْرَ لهُ

قالَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ خلقَ ريحاً تهُبُّ وقتَ الأسحارِ ، تحملُ الأذكارَ والاستغفارَ إلى الملكِ الجبَّارِ)(١) .

مراتبُ قوّامِ الليلِ

وقالَ أيضاً : (إذا كانَ أوَّلُ الليلِ . . ينادي مُنادٍ مِنْ تحتِ العرشِ : أَلاَ لِيَقُمِ العابدونَ ، فيقومونَ ويصلُّونَ ما شاءَ اللهُ .

ثُمَّ ينادي مُنادٍ في شَطْرِ الليلِ : أَلاَ لِيَقُمِ القانتونَ ، فيقومونَ ويصلُّونَ إلى السَّحَرِ .

فإذا كانَ السَّحَرُ . . ينادي مُنادٍ : أَلاَ لِيَقُمِ المستغفرونَ ، فيقومونَ ويستغفرونَ .

فإذا طلعَ الفجرُ . . نادىٰ مُنادٍ : أَلاَ لِيَقُمِ الغافلونَ ، فيقومونَ مِنْ فُرُشِهِمْ كالموتىٰ نُشِرُوا مِنْ قبورِهِمْ)(٢) .

أيُّها الوَلَدُ

لا يكوننَّ الدِّيكُ أكيسَ منكَ

رُئِيَ في وصايا لقمانَ الحكيمِ لابنِهِ أنَّهُ قالَ : (يا بُنَيَّ ؛

(١) ذكره الثعلبي في « تفسيره » (٣/ ٣١) ، ورواه أبو عبد الرحمٰن السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٣٧٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/ ٢٥٢) من قول أبي بكر محمد بن علي الكتّاني .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٣١٠) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٤٠٣) عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالىٰ .

لا يكونَنَّ الديكُ أكيسَ منْكَ ، ينادي بالأسحارِ وأنتَ نائمٌ)[1]

ولقدْ أحسنَ مَنْ قالَ[2] : [من الطويل]

الدمعُ مِنَ الخشيةِ دليلُ المحبةِ

لَقَدْ هَتَفَتْ فِي جُنْحِ لَيْلٍ حَمَامَةٌ ... عَلَىٰ فَنَنٍ وَهْناً وَإِنِّي لَنَائِمُ
كَذَبْتُ وَبَيْتِ ٱللهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقاً ... لَمَا سَبَقَتْنِي بِٱلْبُكَاءِ ٱلْحَمَائِمُ
أَأَزْعُمُ أَنِّي هَائِمٌ ذُو صَبَابَةٍ ... لِرَبِّي وَلاَ أَبْكِي وَتَبْكِي ٱلْبَهَائِمُ

أيُّها الولدُ

خلاصةُ العلمِ: الطاعةُ والعبادةُ

خلاصةُ العلمِ : أنْ تعلمَ أنَّ الطاعةَ والعبادةَ ما هِيَ .

ٱعلَمْ : أنَّ الطاعةَ والعبادةَ متابعةُ الشارعِ في الأوامرِ والنواهي ، بالقولِ والفعلِ ؛ يعني : كلُّ ما تقولُ وتفعلُ ، وتتركُ قولَهُ وفعلَهُ . . يكونُ باقتداءِ الشرعِ ؛ كما لوْ صمتَ يومَيِ العيدِ وأيامَ التشريقِ . . تكونُ عاصياً ، أوْ صلَّيتَ في ثوبٍ مغصوبٍ[3] وإنْ كانتْ صورتُهُ عبادةً . . تأثمُ .

---

(١) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (١٩٥٣٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٣٠٦) .

(٢) الأبيات لمجنون ليلىٰ في « ديوانه » (ص٢٣٨) .

(٣) في (و) زيادة : (أو في ثوب لبسه حرام كالحرير في الرجال) .

العلمُ والعملُ بلا اقتداءِ الشرعِ ضلالةٌ

فينبغي لكَ أنْ يكونَ قولُك وفعلُك موافقاً للشرعِ ؛ إذِ العلمُ والعملُ بلا ٱقتداءِ الشرعِ ضلالةٌ .

مَنْ تصوَّفَ قبلَ أن يتفقَّهَ فقد تزندقَ

وينبغي لكَ ألاّ تغترَّ بشطحِ وطامَّاتِ الصوفيَّةِ ؛ لأنَّ سلوكَ هٰذا الطريقِ يكونُ بالمجاهدةِ ، وقطعِ شهوةِ النفسِ ، وقتلِ هواها بسيفِ الرياضةِ ، لا بالطامَّاتِ والتُّرَّهاتِ .

حياةُ القلبِ معلَّقةٌ علىٰ موتِ النفسِ

وٱعلمْ : أنَّ اللسانَ المطلَقَ ، والقلبَ المطبَقَ المملوءَ بالغفلةِ والشهوةِ . . علامةُ الشَّقاوةِ ، حتىٰ لا تقتلَ نفسَكَ بصدقِ المجاهدةِ . . لنْ تحييَ قلبَكَ بأنوارِ المعرفةِ(١)

---

(١) أي : لن تجعل قلبك حياً بأنوار معرفة الله تعالىٰ وأذكاره حتىٰ تقتل نفسك بالمجاهدة الصادقة ؛ فإن لم تقتلها . . فلن يحيا قلبك بنور المعرفة ، فتنبه .

وٱعلمْ : أنَّ بعضَ مسائلِكَ التي سألتَني عنْها لا يستقيمُ جوابُه بالكتابةِ والقولِ ؛ بلْ إنْ تبلغْ تلكَ الحالةَ .. تعرفْ ما هِيَ ، وإلاَّ .. فعِلمُها مِنَ المستحيلاتِ ؛ لأنَّها ذوقيَّةٌ ، وكلُّ ما يكونُ ذوقياً .. لا يستقيمُ وصفُه بالقولِ ؛ كحلاوةِ الحلوِ ومرارةِ المرِّ لا تُعرَفُ إلا بالذوقِ .

المعاني الذوقيَّةُ تُدرَكُ بالممارسةِ لا بالقولِ

كما حُكِيَ أنَّ عِنِّيناً كتبَ إلىٰ صاحبٍ لهُ : عرِّفْني لذَّةَ المُجامعةِ كيفَ تكونُ ؟

فكتبَ في جوابِهِ : يا فلانُ ؛ إنِّي كنتُ حسبتُكَ عِنِّيناً فقطْ ، والآنَ عرفتُ أنَّكَ عِنِّينٌ وأحمقُ ؛ لأنَّ هٰذهِ اللذَّةَ ذوقيَّةٌ ؛ إنْ تصلْ إليها .. تعرِفْ ، وإلاَّ .. لا يستقيمُ وصفُها بالقولِ والكتابةِ .

أيُّها الولدُ

بعضُ مسائلِكَ مِنْ هٰذا القَبيلِ .

وأمَّا البعضُ الذي يستقيمُ لهُ الجوابُ .. فقدْ ذكرناهُ في « إحياءِ العلومِ » وغيرِهِ ، ونذكرُ هنا نُبَذاً منْهُ ، ونشيرُ إليهِ :

واجباتُ السالكِ

فأوَّلُ سؤالِكَ قدْ سألتَني عنِ السالكِ ما وجبَ عليهِ ؟

فنقولُ : قدْ وجبَ على السالكِ أربعةُ أمورٍ :

أوَّلُ الأمرِ : ٱعتقادٌ صحيحٌ ، لا يكونُ فيهِ بدعةٌ .

والثاني : توبةٌ نصوحٌ ، لا ترجعُ بعدَهُ إلى الزَّلَّةِ .

والثالثُ : ٱسترضاءُ الخصومِ حتَّىٰ لا يبقىٰ لأحدٍ عليكَ حقٌّ .

والرابعُ : تحصيلُ علمِ الشريعةِ قدرَ ما تؤدِّي بهِ أوامرَ اللهِ تعالىٰ ، فالزيادةُ علىٰ هـٰذا القدرِ ليسَ بواجبٍ ، ثُمَّ مِنْ علومِ الآخرةِ ما يكونُ فيه النجاةُ[1]

علمُ الأوَّلينَ والآخرينَ مندرجٌ في حديثٍ واحدٍ

حُكِيَ أنَّ الشِّبليَّ رحمَهُ اللهُ خدمَ أربعَ مئةِ أستاذٍ ، وقالَ : قرأتُ أربعةَ آلافِ حديثٍ ، ثُمَّ ٱخترتُ منها حديثاً واحداً عمِلتُ بهِ ، وخلَّيتُ ما سواهُ ؛ لأنِّي تأمَّلتُ فوجدتُ خَلاصي ونَجاتي فيهِ ، وكانَ علمُ الأوَّلينَ والآخِرينَ كلُّهُ مندرجاً فيهِ ، فٱكتفيتُ بهِ .

وذلكَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لبعضِ أصحابهِ : « ٱعْمَلْ لِدُنْيَاكَ بِقَدْرِ مَقَامِكَ فِيهَا ، وَٱعْمَلْ لِآخِرَتِكَ بِقَدْرِ بَقَائِكَ فِيهَا ، وَٱعْمَلْ للهِ بِقَدْرِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ ، وَٱعْمَلْ لِلنَّارِ بِقَدْرِ صَبْرِكَ عَلَيْهَا »[2]

---

(١) وهـٰذه الواجبات هي شروط في السالك طريق الحق ، وسيذكر المصنف ـ رحمه الله ـ بعد قصة الشبلي وحاتم الأصم الواجبات لهـٰذا السالك .

(٢) ذكر القصة المفسر إسماعيل حقي في « روح البيان » (٨/ ٣٦) .

وفي (ب ، ج ، و ، ز) زيادة : (فإذا أردت أن تعصي مولاك . . فٱطلب مكاناً لا يراك) .

إذا عملتَ بهذا الحديثِ . . لا حاجةَ لكَ إلى العلمِ الكثيرِ[1]

(١) في (أ ، ب) زيادة : (لأن العلم الكثير وتحصيله من فرض الكفاية) .

وتأمَّلْ في حكايةٍ أخرىٰ :

ثماني فوائدَ مِنَ العلمِ حاصلُ صحبةِ ثلاثينَ سنةً

وهِيَ : أنَّ حاتِمَ الأصمَّ كانَ مِنْ أصحابِ شَقيقٍ البَلْخيِّ رحمةُ اللهِ تعالىٰ عليهِما ، فسألَهُ يوماً وقالَ : صاحبتَني منذُ ثلاثينَ سنةً ، ما حاصلُكَ فيها ؟

قالَ : حصَّلتُ ثمانيَ فوائدَ مِنَ العلمِ ، وهِيَ تكفيني منْهُ ؛ لأنِّي أرجو خَلاصي ونَجاتي فيها .

فقالَ شَقيقٌ : ما هِيَ ؟

قالَ حاتِمٌ :

المحبوبُ الذي يؤنسُكَ في قبرِكَ

الفائدةُ الأولىٰ : أنِّي نظرتُ إلى الخَلْقِ ، فرأيتُ لكلٍّ منهُمْ محبوباً ومعشوقاً يحبُّهُ ويعشَقُهُ ، وبعضُ ذلكَ المحبوبِ يصاحبُهُ إلىٰ مرضِ الموتِ ، وبعضُهُ يصاحبُهُ إلىٰ شَفيرِ القبرِ .

ثُمَّ يرجِعُ كلُّهُ ويتركُهُ فريداً وحيداً ، ولا يدخلُ معَهُ في قبرِهِ منهُمْ أحدٌ .

فتفكَّرتُ وقلتُ : أفضلُ محبوبِ المرءِ ما يدخلُ معَهُ في قبرِهِ ويؤنسُهُ فيهِ ، فما وجدتُهُ إلاَّ الأعمالَ الصالحةَ ، فأخذتُها محبوباً لي ؛ لتكونَ سراجاً في قبري ، وتؤنسَني فيه ولا تتركَني فريداً .

والفائدةُ الثانيةُ : أنّي رأيتُ الخلقَ يقتدونَ أهواءَهُم ، ويبادرونَ إلىٰ مُراداتِ أنفسِهِمْ .

هجرُ الهوىٰ لتكونَ الجنةُ هيَ المأوىٰ

فتأمّلتُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ ، وتيقّنتُ أنَّ القرآنَ حقٌّ صادقٌ .

فبادرتُ إلىٰ خلافِ نفسي ، وتشمّرتُ لمجاهدتِها ، وما متّعتُها بهواها حتَّى ٱرتاضَتْ لطاعةِ اللهِ تعالىٰ ، وٱنقادَتْ لها .

تفنى الدنيا وما عندَ اللهِ باقٍ

والفائدةُ الثالثةُ : أنّي رأيتُ كلَّ واحدٍ مِنَ الناسِ يسعىٰ في جمعِ حُطامِ الدنيا ، ثمَّ يُمسكُهُ قابضاً يدَهُ .

فتأمّلتُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ .

فبذلتُ محصولي مِنَ الدنيا لوجهِ اللهِ تعالىٰ ، ففرّقتُهُ بينَ المساكينِ ؛ ليكونَ ذُخراً لي عندَ اللهِ تعالىٰ .

الشرفُ الحقيقيُّ في التقوىٰ

والفائدةُ الرابعةُ : أنّي رأيتُ بعضَ الخَلْقِ يظنُّ أنَّ شرفَهُ وعزَّهُ في كثرةِ الأقوامِ والعشائرِ ، فٱعتزَّ بهِمْ .

وزعمَ آخرونَ أنَّهُ في ثَروةِ الأموالِ وكثرةِ الأولادِ ، فٱفتخروا بها .

وحَسِبَ بعضُهُمْ أنَّ العزَّ والشرفَ في غصبِ أموالِ الناسِ وظلمِهِمْ وسفكِ دمائِهِمْ .

وٱعتقدتْ طائفةٌ أنَّهُ في إتلافِ المالِ وإسرافِهِ وتبذيرِهِ .

فتأمَّلتُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ .

فٱخترتُ التقوىٰ ، وٱعتقدتُ أنَّ القرآنَ حقٌّ صادقٌ ، وظنَّهُمْ وحِسبانَهُمْ كلَّها باطلٌ زائلٌ .

من حسدَ فعلى الله قد اعترضَ

والفائدةُ الخامسةُ : أنِّي رأيتُ الناسَ يذُمُّ بعضُهُمْ بعضاً ، ويغتابُ بعضُهُمْ بعضاً ، فوجدتُ ذلكَ مِنَ الحسدِ في المالِ والجاهِ والعلمِ

فتأمَّلتُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾

فعلمتُ أنَّ القسمةَ كانتْ مِنَ اللهِ تعالىٰ في الأزَلِ ، فما حَسَدتُ أحداً ، ورضيتُ بقسمةِ اللهِ تعالىٰ .

العدو هو الشيطانُ لا غيرُهُ

والفائدةُ السادسةُ : أنِّي رأيتُ الناسَ يُعادي بعضُهُمْ بعضاً لغَرَضٍ وسَبَبٍ .

فتأمَّلتُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ .

فعلمتُ أنَّهُ لا يجوزُ عداوةُ أحدٍ غيرَ الشيطانِ ، فٱتخذتُهُ عدوّاً ، وتركتُ غيرَهُ .

الرزقُ على اللهِ فما الداعي للطمعِ فيما سواهُ ؟

والفائدةُ السابعةُ : أنِّي رأيتُ كلَّ أحدٍ يسعىٰ بجِدٍّ ، ويجتهدُ بمبالغةٍ ؛ لطلَبِ القُوت والمَعاشِ بحيثُ يقعُ بهِ في شُبهةٍ وحرامٍ ، ويُذِلُّ نفسَهُ ، ويُنقِصُ قدرَهُ .

فتأمَّلتُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ .

فعلمتُ أنَّ رزقي على اللهِ تعالىٰ ، وقدْ ضَمِنَهُ ، فٱشتغلتُ بعبادتِهِ ، وقطعتُ طمَعي عمَّنْ سواهُ .

ومَنْ يتوكلْ على اللهِ فهوَ حسبُهُ

والفائدةُ الثامنةُ : أنِّي رأيتُ كلَّ واحدٍ معتمداً علىٰ شيءٍ مخلوقٍ :

بعضُهُمْ إلى الدينارِ والدرهمِ[1]

وبعضُهُمْ إلى المالِ والمُلكِ .

وبعضُهُمْ إلى الحِرفةِ والصناعةِ .

---

(١) كذا في جميع النسخ ، وكذلك ما بعده ، ولعله بتضمين الفعل معنىٰ (يركن إلىٰ) ، والله أعلم .

وبعضُهُمْ إلىٰ مخلوقٍ مثلِهِ .

فتأمَّلتُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ .

فتوكَّلتُ على اللهِ ، فهوَ حسبي ونعمَ الوكيلُ .

على هٰذهِ الفوائدِ الثمانيةِ تدورُ الكتبُ الأربعةُ

فقالَ شقيقٌ : وفَّقَكَ اللهُ تعالىٰ يا حاتِمُ ؛ إنِّي قدْ نظرتُ التوراةَ والإنجيلَ والزبورَ والفرقانَ ، فوجدتُ الكتبَ الأربعةَ تدورُ علىٰ هٰذهِ الفوائدِ الثمانيةِ ، فمَنْ عمِلَ بها . . كانَ عاملاً بهٰذهِ الكتبِ الأربعةِ[1] .

أيها الولد

خلاصةُ الحكايتينِ

قدْ علمتَ مِنْ هاتينِ الحكايتينِ أنَّكَ لا تحتاجُ إلىٰ تكثيرِ العلمِ .

والآنَ أبيِّنُ لكَ ما يجبُ علىٰ سالكِ سبيلِ الحقِّ[2] .

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٣/ ١٤٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨/ ٧٩) مختصراً .

(٢) وهي أربعة أمور : الأول : أن يختار الشيخ المربي .

والثاني : أن يحترمه ظاهراً وباطناً .

والثالث : أن يحترز عن مجالسة صاحب السوء .

والرابع : أن يختار الفقر على الغنىٰ .

فٱعلمْ : أنَّهُ ينبغي للسالكِ شيخٌ مرشدٌ مربٍّ ؛ ليُخرِجَ الأخلاقَ السوءَ منْهُ بتربيتِهِ ، ويجعلَ مكانَها خُلقاً حسناً .

لا بُدَّ مِنْ شيخٍ مُرَبٍّ

ومعنى التربيةِ : يشبهُ فعلَ الفلاَّحِ الذي يقلَعُ الشوكَ ، ويُخرجُ النباتاتِ الأجنبيةَ مِنْ بينِ الزرعِ ؛ ليحسُنَ نباتُهُ ، ويكمُلَ رَيْعُهُ .

لا بدَّ مِنْ شيخٍ نيِّرٍ سيرةً

ولا بدَّ للسالكِ مِنْ شيخٍ يربِّيهِ ، ويُرشدُهُ إلىٰ سبيلِ اللهِ تعالىٰ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ أرسلَ إلى العبادِ رسولاً للإرشادِ إلىٰ سبيلِهِ ، فإذا ٱرتحلَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنَ الدنيا . . فقدْ خلَّفَ الخلفاءَ في مكانِهِ حتَّىٰ يُرشدوا الخلائقَ إلى اللهِ تعالىٰ .

شروطُ المربِّي وعلاماته

وشرطُ الشيخِ الذي يصلُحُ أنْ يكونَ نائباً لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنْ يكونَ عالماً ، لا أنَّ كلَّ عالمٍ يصلُحُ لهُ .

وإنِّي أبيِّنُ لكَ بعضَ علاماتِهِ علىٰ سبيلِ الإجمالِ ؛ حتَّىٰ لا يدَّعيَ كلُّ أحدٍ أنَّهُ مرشدٌ .

فنقولُ :

الإعراضُ عَنْ حبِّ الدنيا وحبِّ الجاهِ شرطُ المربِّي

هُوَ مَنْ يُعرِضُ عَنْ حبِّ الدنيا وحبِّ الجاهِ ، وكانَ قدْ تابعَ لشخصٍ بصيرٍ يتسلسلُ متابعتُهُ إلىٰ سيِّدِ المرسلينَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وكانَ مُحسِناً رياضةَ نفسِهِ ؛ مِنْ قِلَّةِ الأكلِ والشربِ ، والقولِ والنومِ ، وكثرةِ الصلاةِ والصدقةِ والصومِ .

العربّي مَن كانَتْ محاسنُ الأخلاقِ لهُ سيرةً

وكانَ بمتابعةِ الشيخِ البصيرِ جاعلاً محاسنَ الأخلاقِ لهُ سيرةً ؛ كالصبرِ والشكرِ ، والتوكُّلِ واليقينِ ، والسَّخاوةِ والقناعةِ ، وطُمأنينةِ النفسِ ، والحِلمِ والتواضعِ ، والعلمِ والصدقِ ، والحياءِ والوفاءِ ، والوَقارِ والسُّكونِ والتأنِّي ، وأمثالِها .

العربّي الحقُّ نورٌ ولكنَّهُ عزيزٌ نادرٌ

فهُوَ إذاً نورٌ مِنْ أنوارِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يصلُحُ الاقتداءُ بهِ ؛ لكنَّ وجودَ مثلِهِ نادرٌ أعزُّ مِنَ الكبريتِ الأحمرِ .

أدبُ السالكِ معَ العربّي

ومَنْ ساعدتْهُ السعادةُ فوجدَ شيخاً كما ذكرْنا ، وقبِلَهُ الشيخُ . . فينبغي أنْ يحترِمَهُ ظاهراً وباطناً .

احترامُ العربّي في الظاهرِ والباطنِ شرطٌ للسُّلوكِ

أمّا احترامُ الظاهرِ . . فهوَ ألاَّ يجادلَهُ ، ولا يشتغلَ بالاحتجاجِ معَهُ في كلِّ مسألةٍ وإنْ علمَ خطأَهُ ، ولا يُلقيَ بينَ يديهِ سَجَّادتَهُ إلاَّ وقتَ أداءِ الصلاةِ ، فإذا فرغَ . . يرفعُها ، ولا يُكثرَ نوافلَ الصلاةِ بحضرتِهِ ، ويعملَ ما يأمرُهُ الشيخُ مِنَ العملِ بقدْرِ وُسْعِهِ وطاقتِهِ .

وأمّا احترامُ الباطنِ . . فهوَ أنَّ كلَّ ما يسمعُ مِنَ الشيخِ ويقبلُ منْهُ في الظاهرِ . . لا يُنكرُهُ في الباطنِ ، لا فعلاً ولا قولاً ؛ لئلاَّ يتَّسمَ بالنفاقِ ، وإنْ لمْ يستطعْ . . يتركْ صُحبتَهُ إلى أنْ يوافقَ باطنُهُ ظاهرَهُ .

وأنْ يحترزَ عنْ مجالسةِ صاحبِ السوءِ ؛ ليقصُرَ ولايةَ شياطينِ الجنِّ والإنسِ مِنْ صحنِ قلبِهِ ، فيُصفَّىٰ عنْ لَوْثِ الشَّيطَنةِ . صاحبُ السوءِ يلوِّثُ القلبَ

وعلىٰ كلِّ حالٍ أنْ يختارَ الفقرَ على الغنىٰ .

ثُمَّ ٱعلمْ : أنَّ التصوُّفَ لهُ خَصْلتانِ : ٱلاستقامةُ ، والسكونُ عنِ الخلقِ ؛ فمَنِ ٱستقامَ ، وأحسنَ خُلقَهُ بالناسِ ، وعاملَهُمْ بالحِلمِ . . فهُوَ صوفيٌّ .

خَصْلتا التصوُّفِ

والاستقامةُ : هِيَ أنْ يفديَ حظَّ نفسِهِ لنفسِهِ .

وحسنُ الخُلقِ بالناسِ : هُوَ ألاَّ تحملَ الناسَ علىٰ مرادِ نفسِكَ ، بلْ تحملُ نفسَكَ علىٰ مرادِهِمْ ما لمْ يخالفوا الشرعَ .

معنى العبوديةِ

ثُمَّ إنَّكَ سألتَني عنِ العبوديَّةِ ؛ وهِيَ ثلاثةُ أشياءَ :

أحدُها : محافظةُ أمرِ الشرعِ .

وثانيها : الرِّضاءُ بالقضاءِ والقدرِ وقسمةِ اللهِ تعالىٰ .

وثالثُها : تركُ رِضاءِ نفسِكَ في طلَبِ رضاءِ اللهِ تعالىٰ .

معنى التوكلِ

وسألتَني عنِ التوكُّلِ ؛ وهُوَ أنْ تستحكمَ ٱعتقادَكَ باللهِ تعالىٰ فيما وعدَ ؛ يعني : أنْ تعتقدَ أنَّ ما قُدِّرَ لكَ . . سيصلُ إليكَ لا محالةَ وإنِ ٱجتهدَ مَنْ في العالَمِ علىٰ صَرفِهِ عنْكَ ، وما لمْ يُكتَبْ لكَ . . لنْ يصلَ إليكَ[1] وإنْ ساعدَكَ جميعُ العالَمِ .

---

(١) في (د ، ز) : (لن تصل إليه) .

وسألتَني عنِ الإخلاصِ ؛ وهُوَ : أنْ تكونَ أعمالُكَ كلُّها للهِ تعالىٰ ، لا يرتاحُ قلبُكَ بمَحامدِ الناسِ ، ولا تأسىٰ بمذامِّهِمْ .

معنى الإخلاص

واعلمْ : أنَّ الرِّياءَ يتولَّدُ مِنْ تعظيمِ الخَلْقِ .

مِمَّ يتولَّدُ الرياءُ وكيفَ يكونُ علاجُهُ؟

وعلاجُهُ : أنْ تراهُمْ مُسخَّري القدرةِ[1] ، وتحسبَهُمْ كالجماداتِ في عدمِ قدرةِ إيصالِ الراحةِ والمشقَّةِ ؛ لتخلُصَ مِنْ مُراءاتِهِمْ[2] ، ومتىٰ تحسبْهُمْ ذوي قدرةٍ وإرادةٍ . . لنْ يبعدَ عنْكَ الرياءُ .

أيها الولد

الزيادةُ في العلمِ ميراثُ العملِ

الباقي مِنْ مسائلِكَ : بعضُها مسطورٌ في مصنَّفاتي ، فاطلُبْهُ ثَمَّةَ ، وكتابةُ بعضِها حرامٌ .

اعمَلْ أنتَ بما تعلمُ ؛ لينكشفَ لكَ ما لمْ تعلمْ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ . . وَرَّثَهُ ٱللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »[3]

---

(١) أي : مذللين ومنقادين إلىٰ تحت قدرة الله تعالىٰ وعظمته . انظر « أيها الأخ » (ق/٥٨) .

(٢) أي : لِتخلصَ من طلب نظر الخلق إلىٰ عملك لإقبالهم عليك . انظر « أيها الأخ » (ق/٥٨) .

(٣) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٢٧/٤٩) من قول الأوزاعي =

استفتِ قلبكَ وإن أفتوكَ

بعدَ اليومِ لا تسألْني ما أشكلَ عليكَ إلا بلسانِ الجَنانِ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ .

واقبلْ نصيحةَ الخضرِ عليهِ السلامُ : ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ .

ولا تستعجلْ حتَّىٰ تبلغَ أوانَهُ . . يُكشَفْ لكَ وأُريتَ[1] : ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ .

فلا تسألْ قبلَ الوقتِ .

لا وصولَ إلا بالسيرِ

وتيقَّنْ أنَّكَ لا تصلُ إلا بالسَّيرِ : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ ﴾ .

أيها الولد

رأسُ هـٰذا الأمرِ بذلُ الروحِ

باللهِ ؛ إن تسِرْ . . تَرَ العجائبَ في كلِّ منزلٍ .

وابذُلْ روحَكَ ؛ فإنَّ رأسَ هـٰذا الأمرِ بذلُ الروحِ ؛ كما قالَ ذو النونِ المصريُّ رحمَهُ اللهُ لأحدٍ مِنْ تلامذتِهِ : (إنْ قدرتَ علىٰ بذلِ

= رحمه الله ، وفي (٤٨/ ٤١٤) من قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ ، والحديث برمته زيادة من النسخة (ج) فقط .

(١) أي : أيها الولد ؛ لا تستعجل في كشف أمر مستور عليك أن تصل إلىٰ وقته . . يكشفْ لك وأُبصِرْتَ . انظر « أيها الأخ » (ق/ ٦٠) .

الروحِ . . فتعالَ ، وإلاَّ . . فلا تشتغِلْ بتُرَّهاتِ الصوفيَّةِ)[1]

أيُّها الوَلَدُ

نصائحُ الإمامِ الغزاليِّ لتلميذِهِ

إنِّي أنصحُكَ بثمانيةِ أشياءَ ، ٱقبَلْها منِّي ؛ لئلاَّ يكونَ علمُكَ خصماً عليكَ يومَ القيامةِ ، تعملُ منها أربعةً ، وتَدَعُ منها أربعةً .

أمّا اللواتي تدَعُ :

النهي عن المناظرة

فأحدُها : ألاَّ تناظرَ أحداً في مسألةٍ ما ٱستطعتَ ؛ لأنَّ فيها آفةً كثيرةً ، وإثمُها أكبرُ مِنْ نفعِها ؛ إذْ هِيَ منبعُ كلِّ خُلُقٍ ذميمٍ ؛ كالرياءِ والحسدِ ، والكِبْرِ والحِقدِ ، والعداوةِ والمباهاةِ ، وغيرِها .

جوازُ المناظرةِ لإظهارِ الحقِّ

نعمْ ؛ لوْ وقعَ مسألةٌ بينَكَ وبينَ شخصٍ أوْ قومٍ ، وكانَ إرادتُكَ فيها أنْ تُظهرَ الحقَّ ولا تُضيِّعَ . . جازَ البحثُ .

لٰكنْ لتلكَ الإرادةِ علامتانِ :

---

(١) رواه أبو عبد الرحمٰن السلميُّ في « طبقات الصوفية » (ص ١٨٣) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٧٣٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/٢٩٧) من قول رويم بن أحمد رحمه الله .

إحداهُما : ألاَّ تفرِّقَ بينَ أنْ ينكشفَ الحقُّ علىٰ لسانِكَ أوْ علىٰ لسانِ غيرِكَ .

والثانيةُ : أنْ يكونَ البحثُ في الخلاءِ أحبَّ إليكَ مِنْ أنْ يكونَ في الملأِ .

فائدة في السؤال عن المشكلات

واسمعْ ؛ إنِّي أذكرُ لكَ هنا فائدةً :

اعلمْ : أنَّ السؤالَ عنِ المشكلاتِ عَرْضُ مرضِ القلبِ إلى الطبيبِ ، والجوابَ لهُ سعيٌ لإصلاحِ مرضِهِ .

الجهلُ مرضٌ وطبيبُهُ الشافي العالِمُ الكاملُ

واعلمْ : أنَّ الجاهلينَ : المرضىٰ قلوبُهُمْ ، والعلماءَ : الأطبَّاءُ .

والعالمُ الناقصُ لا يُحسنُ المعالجةَ ، والعالمُ الكاملُ لا يعالجُ كلَّ مريضٍ ؛ بلْ يعالجُ مَنْ يرجو فيهِ قَبولَ المعالجةِ والصلاحِ .

العلةُ المزمنةُ لا تقبلُ العلاجَ

وإذا كانتِ العلَّةُ مزمنةً ، أو عقيماً لا تقبلُ العلاجَ . . فحَذاقةُ الطبيبِ فيهِ أنْ يقولَ : هـٰذا لا يقبلُ العلاجَ ، فلا يشتغلُ بمداواتِهِ ؛ لأنَّ فيهِ تضييعَ العُمرِ .

أنواعُ الجهلِ

ثُمَّ اعلمْ : أنَّ مرضَ الجهلِ علىٰ أربعةِ أنواعٍ :

أحدُها : يقبلُ العلاجَ ، والباقي لا يقبلُ .

أمّا الذي لا يقبلُ :

الحسدُ علةٌ إنْ عُولجَتْ زادَتْ

فأحدُها : مَنْ كانَ سؤالُهُ وٱعتراضُهُ عنْ حسدٍ وبغضٍ ، فكلّما تجيبُهُ بأحسنِ الجوابِ وأفصحِهِ وأوضحِهِ . . لا يزيدُ لهُ ذلكَ إلا غيظاً وحسداً .

فالطريقُ : ألاَّ تشتغلَ بجوابِهِ .

كُلُّ ٱلْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَىٰ إِزَالَتُهَا إِلاَّ عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدِ[1]

فينبغي أنْ تُعرِضَ عنهُ ، وتتركَهُ معَ مرضِهِ ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ .

والحسودُ بكلِّ ما يقولُ ويفعلُ يوقدُ النارَ في زرعِ عَمَلِهِ وهُوَ غافلٌ ؛ كما قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وَٱلْحَسَدُ يَأْكُلُ ٱلْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ »[2]

يحيا الميتُ ولا يشفى الأحمقُ

والثاني : أنْ تكونَ علَّتُهُ مِنَ الحماقةِ ، وهُوَ أيضاً لا يقبلُ العلاجَ ؛ كما قالَ عيسىٰ عليهِ السلامُ : (إنِّي ما عجزتُ عنْ إحياءِ الموتىٰ ، وقدْ عجزتُ عنْ معالجةِ الأحمقِ)[3]

---

(١) البيت من البسيط ، لعبد الله بن المبارك في « ديوانه » (ص ٧٨) .
(٢) رواه أبو داوود (٤٩٠٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦١٨٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٣) أورده ابن عبد البر في « بهجة المجالس » (١/ ٥٤٤) .

وذلكَ رجلٌ يشتغلُ بطلبِ العلمِ زماناً قليلاً ، ويتعلَّمُ شيئاً مِنَ العلومِ العقليِّ والشرعيِّ ، فيسألُ ويعترضُ مِنْ حماقتِهِ على العالمِ الكبيرِ الممضي عُمرَهُ في العلومِ العقليِّ والشرعيِّ ، وهٰذا الأحمقُ لا يعلمُ ، ويظنُّ أنَّ ما أشكلَ عليهِ هُوَ أيضاً مشكلٌ للعالمِ الكبيرِ ، فإذا لمْ يتفكَّرْ هٰذا القدرَ . . يكونُ سؤالُهُ مِنَ الحماقةِ .

اعتراضُ قليلِ العلمِ على العالمِ حمقٌ جوابُهُ السكوتُ

فينبغي ألاَّ يشتغلَ بجوابِهِ ؛ لأنَّ جوابَ الأحمقِ السكوتُ .

والثالثُ : أنْ يكونَ مسترشِداً ، وكلُّ ما لا يفهمُ مِنْ كلامِ الأكابرِ يحملُ علىٰ قصورِ فهمِهِ ، وكانَ سؤالُهُ للاستفادةِ ، لٰكنْ يكونُ بليداً لا يدركُ الحقائقَ .

المسترشدُ البليدُ لا يُشْغَلُ بجوابِهِ

فلا ينبغي الاشتغالُ بجوابِهِ أيضاً ؛ كما قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « نَحْنُ ـ مَعَاشِرَ ٱلْأَنْبِيَاءِ ـ أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ قَدْرِ عُقُولِهِمْ »[1]

وأمّا المرضُ الذي يقبلُ العلاجَ : فهُوَ أنْ يكونَ مسترشِداً عاقلاً فَهِماً ، لا يكونُ مغلوبَ الحسدِ والغضبِ وحبِّ الشهوةِ والجاهِ

جهلٌ يقبلُ العلاجَ

(١) أورده الديلمي في « الفردوس » (١٦١١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

والمالِ ، ويكونُ طالبَ الطريقِ المستقيمِ ، ولمْ يكنْ سؤالُهُ وٱعتراضُهُ عنْ حسدٍ وتعنُّتٍ وٱمتحانٍ .

وهـٰذا يقبلُ العلاجَ ، فيجوزُ أنْ تشتغلَ بجوابِ سؤالِهِ ؛ بلْ يجبُ عليكَ إجابتُهُ .

عِظْ نفسكَ وإلاَّ فلا تعظِ الناسَ

والثاني ممَّا تدَعُ : هُوَ أنْ تحذرَ وتحترزَ مِنْ أنْ تكونَ واعظاً أوْ مذكِّراً ؛ لأنَّ آفتَهُ كثيرةٌ ، إلاَّ أنْ تعملَ بما تقولُ أوَّلاً ، ثُمَّ تعظَ بِهِ الناسَ .

فتفكَّرْ فيما قِيلَ لعيسىٰ عليهِ السلامُ : (يا بنَ مريمَ ؛ عِظْ نفسَكَ ؛ فإنِ ٱتعظَتْ . . فعِظِ الناسَ ؛ وإلاَّ . . فٱستحِ مِنْ ربِّكَ)[1]

وإنِ ٱبتُليتَ بهـٰذا العملِ . . فٱحترزْ عنْ خَصلتينِ :

التكلُّفُ الزائدُ دليلُ خرابِ الباطنِ

الأولىٰ : عنِ التكلُّفِ في الكلامِ بالعباراتِ والإشاراتِ والطامَّاتِ والأبياتِ والأشعارِ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ يُبغضُ المتكلِّفينَ . والتكلُّفُ المُجاوِزُ عنِ الحدِّ يدُلُّ علىٰ خرابِ الباطنِ وغفلةِ القلبِ .

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٣٠٠) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/٣٨٢) .

ومعنى التذكيرِ :

الفرقُ بينَ التذكيرِ والوعظِ

أنْ يذكرَ العبدُ نارَ الآخرةِ ، وتقصيرَ نفسِهِ في خدمةِ الخالقِ .

ويتفكَّرَ في عُمرِهِ الماضي الذي أفناهُ فيما لا يعنيهِ .

ويتفكَّرَ فيما بينَ يديهِ مِنَ العَقَباتِ مِنْ سلامةِ الإيمانِ في الخاتمةِ ، وكيفيَّةِ حالِهِ في قَبْضَةِ مَلَكِ الموتِ ، وهلْ يقدِرُ جوابَ منكرٍ ونكيرٍ ؟

وأنْ يهتمَّ بحالِهِ في القيامةِ ومواقفِها ، وهلْ يعبُرُ على الصراطِ سالماً ، أمْ يقعُ في الهاويةِ ؟

ما خرجَ مِنَ القلبِ وقعَ في القلبِ

ويستمرُّ ذكرُ هٰذهِ الأشياءِ في قلبِهِ ، فيزعجُهُ عنْ قرارِهِ .

فغلَيانُ هٰذهِ النيرانِ ، ونَوحةُ هٰذهِ المصائبِ يُسمَّىٰ تذكيراً .

وإعلامُ الخلقِ وإطْلاعُهُمْ علىٰ هٰذهِ الأشياءِ ، وتنبيهُهُمْ علىٰ تقصيرِهِمْ وتفريطِهِمْ ، وتبصيرُهُمْ بعيوبِ أنفسِهِمْ لتمَسَّ حرارةُ هٰذهِ النيرانِ أهلَ المجلسِ ، وتُجزِعَهُمْ تلكَ المصائبُ ليتداركوا العُمرَ الماضيَ بقدرِ الطاقةِ ، ويتحسَّروا على الأيَّامِ الخاليةِ في غيرِ طاعةِ اللهِ تعالىٰ . . هٰذهِ الجملةُ علىٰ هٰذا الطريقِ تُسمَّىٰ وعظاً .

ضربُ مثلٍ في النهيِ عنِ التكلُّفِ

كما لوْ رأيتَ أنَّ السيلَ قدْ هجمَ علىٰ دارِ أحدٍ ، وكانَ هُوَ وأهلُهُ فيها ؛ فتقولُ : الحذرَ الحذرَ ، فِرُّوا مِنَ السَّيلِ .

وهلْ يشتهي قلبُكَ في هٰذهِ الحالةِ أنْ تُخبرَ صاحبَ الدارِ خبرَكَ بتكلُّفِ العباراتِ ، والنُّكَتِ والإشاراتِ ؟

فلا يشتهي ألبتةَ .

فكذلكَ حالُ الواعظِ معَ الخلقِ ، فينبغي أنْ تجتنبَ عنْها .

ما ينبغي أن يقصدهُ الواعظ بوعظِهِ

والخَصلةُ الثانيةُ : ألاَّ تكونَ همَّتُكَ في وعظِكَ أنْ ينعِرَ الخلقُ في مجلسِكَ[1] ، ويُظهروا الوَجْدَ ، ويَشُقُّوا الثيابَ ؛ ليُقالَ : نِعْمَ المجلسُ هٰذا ؛ لأنَّ كلَّهُ ميلٌ إلى الدنيا ، وهُوَ يتولَّدُ مِنَ الغفلةِ .

همَّةُ الواعظِ تقريبُ الناسِ إلى الطاعةِ وإبعادُهُم عنِ المعصيةِ

بلْ ينبغي أنْ يكونَ عزمُكَ وهمَّتُكَ أنْ تدعوَ الناسَ مِنَ الدنيا إلى الآخرةِ ، ومِنَ المعصيةِ إلى الطاعةِ ، ومِنَ الحرصِ إلى الزهدِ ، ومِنَ البخلِ إلى السَّخاءِ ، ومِنَ الشكِّ إلى اليقينِ ، ومِنَ الغفلةِ إلى اليقظةِ ، ومِنَ الغُرورِ إلى التقوىٰ .

وتُحبِّبَ إليهِمُ الآخرةَ ، وتبغِّضَ عليهِمُ الدنيا ، وتعلِّمَهُمْ علمَ العبادةِ والزهدِ ؛ لأنَّ الغالبَ في طباعِهِمُ الزَّيغُ عنْ منهجِ الشرعِ ، والسعيُ فيما لا يرضى اللهُ تعالىٰ بهِ ، والاشتغالُ بالأخلاقِ الرديَّةِ .

الإرعابُ والتحذيرُ طريقٌ للاتعاظِ والتذكيرِ

فألْقِ في قلوبِهِمُ الرُّعبَ ، وروِّعْهُمْ وحذِّرْهُمْ عمَّا يستقبلونَ مِنَ المخاوفِ ؛ لعلَّ صفاتِ باطنِهِمْ تتغيَّرُ ، ومعاملةَ ظاهرِهِمْ تتبدَّلُ ، ويُظهِرونَ الحرصَ والرغبةَ في الطاعةِ ، والرجوعَ عنِ المعصيةِ .

---

(١) النعير : أصوات المتواجدين .

وهٰذا طريقُ الوعظِ والنصيحةِ .

الوعظُ مِنْ غيرِ ناصحٍ وبالٌ علىٰ مَنْ قالَ وسمعَ

وكلُّ وعظٍ لا يكونُ هٰكذا . . فهُوَ وَبالٌ علىٰ مَنْ قالَ وسمعَ ، بلْ قِيلَ : إنَّهُ غُولٌ وشيطانٌ ، يذهبُ بالخلقِ عنِ الطريقِ ويُهلِكُهُمْ .

فيجبُ عليهِمْ أنْ يَفِرُّوا منْهُ ؛ لأنَّ ما يُفسدُهُ هٰذا القائلُ مِنْ دينِهِمْ . . لا يستطيعُ بمثلِهِ الشيطانُ .

وجوبُ النهيِ عَنْ وعّاظِ السُّوءِ

ومَنْ كانتْ لهُ يدٌ وقدرةٌ . . يجبُ عليهِ أنْ يُنزلَهُ عنْ منابرِ المسلمينَ ، ويمنعَهُ عمَّا باشرَهُ ؛ فإنَّهُ مِنْ جملةِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ .

النهيُ عنْ مخالطةِ السلاطينِ

والثالثُ ممَّا تدَعُ : ألاَّ تخالطَ الأمراءَ والسلاطينَ ، ولا تراهُمْ ؛ لأنَّ رؤيتَهُمْ ومجالستَهُمْ ومخالطتَهُمْ آفةٌ عظيمةٌ ، ولوِ ٱبتُلِيتَ بها . . دَعْ عنْكَ مدحَهُمْ وثناءَهُمْ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ يغضبُ إذا مُدِحَ الفاسقُ والظالمُ ، ومَن دعا لطولِ بقائِهِمْ . . فقدْ أحبَّ أن يُعصى اللهُ في أرضِهِ .

النهيُ عن هدايا الأمراءِ

والرابعُ مما تدَعُ : ألاَّ تقبلَ شيئاً مِنْ عطاءِ الأمراءِ وهداياهُمْ وإنْ علمتَ أنَّها مِنَ الحلالِ ؛ لأنَّ الطمعَ منهُمْ يُفسدُ الدِّينَ ؛ لأنَّهُ

يتولَّدُ منْهُ المداهنةُ ، ومراعاةُ جانبِهِمْ ، والموافقةُ في ظلمِهِمْ ، وهٰذا كلُّهُ فسادٌ في الدِّينِ .

آفاتُ قبولِ العطاءِ مِنَ الأمراءِ

وأقلُّ مضرَّتِهِ : أنَّكَ إذا قبلتَ عطاياهُمْ وٱنتفعتَ مِنْ دنياهُمْ . . أحببتَهُمْ ، ومَنْ أحبَّ أحداً . . يحبُّ طولَ عُمرِهِ وبقاءَهُ بالضرورةِ ، وفي محبَّةِ بقاءِ الظالمِ إرادةُ الظلمِ علىٰ عبادِ اللهِ تعالىٰ ، وإرادةُ خرابِ العالَمِ .

فأيُّ شيءٍ يكونُ أضرَّ مِنْ هٰذا للدِّينِ والعاقبةِ ؟

قبولُ العطاءِ بقصدِ التصدقِ خديعةٌ مِنَ الشيطانِ

وإيَّاكَ إيَّاكَ أنْ تُخدَعَ بٱستهواءِ الشيطانِ ، وقولِ بعضِ الناسِ لكَ بأنَّ الأفضلَ والأَولىٰ أنْ تأخذَ الدينارَ والدرهمَ منْهُمْ ، وتفرِّقَهما بينَ الفقراءِ والمساكينِ ؛ فإنَّهُمْ ينفقونَ في الفسقِ والمعصيةِ ، وإنفاقُكَ علىٰ ضعفاءِ الناسِ خيرٌ مِنْ إنفاقِهِمْ ؛ فإنَّ اللعينَ قدْ قطعَ أعناقَ كثيرٍ مِنَ الناسِ بهٰذهِ الوسوسةِ .

وآفتُهُ فاشٍ كثيرٌ ، قدْ ذكرناهُ في « إحياءِ علومِ الدينِ » ، فٱطلبْهُ ثَمَّةَ[1]

المأموراتُ أربعة : معاملة الله والعباد

وأمَّا الأربعةُ التي ينبغي لكَ أنْ تفعلَها :

الأوَّلُ : أنْ تجعلَ معاملتَكَ معَ اللهِ تعالىٰ بحيثُ لوْ عاملكَ بها

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٥٢٣) وما بعدها .

عبدُكَ . . ترضىٰ بها منْهُ ، ولا يَضِيقُ خاطِرُكَ عليهِ ، ولا تغضبُ .

وما لا ترضىٰ لنفسِكَ مِنْ عبدِكَ المَجَازيِّ . . لا ترضىٰ للهِ تعالىٰ منْكَ وهُوَ سيِّدُكَ الحقيقيُّ .

الأمرُ بمعاملةِ الناسِ بما ترضاهُ لنفسِكَ

والثاني : كلُّ ما عاملتَ بالناسِ . . اْجعَلْ كما ترضىٰ لنفسِكَ منْهُمْ ، لأنَّهُ لا يكمُلُ إيمانُ عبدٍ حتَّىٰ يحبَّ لسائرِ الناسِ ما يحبُّ لنفسِهِ .

تقديمُ العلومِ المصْلِحَةِ للقلوبِ علىٰ غيرها

والثالثُ : إذا قرأتَ العلمَ أوْ طالعتَهُ . . ينبغي أنْ يكونَ علماً يُصلحُ قلبَكَ ويزكِّي نفسَكَ ؛ كما لوْ علمتَ أنَّ عُمرَكَ ما بقيَ غيرُ أسبوعٍ . . فبالضرورةِ لا تشتغلُ فيها بعلمِ الفقهِ والخلافِ والأصولِ والكلامِ وأمثالِها ؛ لأنَّكَ تعلمُ أنَّ هـٰذهِ العلومَ لا تغنيكَ ، بلْ تشتغلُ بمراقبةِ القلبِ ، ومعرفةِ صفاتِ النفسِ ، والإعراضِ عنْ علائقِ الدنيا ، وتُزكِّي نفسَكَ عنِ الأخلاقِ الذميمةِ ، وتشتغلُ بمحبَّةِ اللهِ تعالىٰ وعبادتِهِ ، والاتصافِ بالأوصافِ الحسَنةِ .

ولا يمرُّ علىٰ عبدٍ يومٌ وليلةٌ إلا ويمكنُ أنْ يكونَ موتُهُ فيهِ .

أيُّها الوَلَدُ

إصلاحُ الباطنِ

اْسمعْ منِّي كلاماً آخرَ ، وتفكَّرْ فيهِ حتَّىٰ تجدَ خلاصاً :

ضربُ مثلٍ لمراقبةِ اللهِ تعالىٰ

لوْ أنَّكَ أُخبِرتَ أنَّ السلطانَ بعدَ أسبوعٍ يَجيئُكَ زائراً . . اُعلَمْ أنَّكَ في تلكَ المدَّةِ لا تشتغلُ إلاَّ بإصلاحِ ما علمتَ أنَّ نظرَ السلطانِ سيقعُ عليهِ ؛ مِنَ الثيابِ ، والبدنِ ، والدارِ ، والفُرشِ ، وغيرِها .

والآنَ تفكَّرْ إلىٰ ما أشرتُ بهِ ؛ فإنَّكَ فَهِمٌ ، والكلامُ الفردُ يكفي الكَيِّسَ ، قالَ رسولُ اللهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إِنَّ ٱللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ ، وَلاَ إِلَىٰ أَعْمَالِكُمْ ، وَلَـٰكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ »(١) .

علمُ أحوالِ القلبِ فرضُ عينٍ

وإنْ أردتَ علمَ أحوالِ القلبِ . . فٱنظُرْ إلى « الإحياءِ » وغيرِهِ مِنْ مصنَّفاتي ـ وهـٰذا العلمُ فرضُ عينٍ ، وغيرُهُ فرضُ كفايةٍ إلاَّ مقدارَ ما يُؤدَّىٰ بهِ فرائضُ اللهِ تعالىٰ ـ . يوفِّقُكَ اللهُ تعالىٰ حتَّىٰ تحصِّلَهُ .

الأمر بالرضا بالكفاف

والرابعُ : ألاَّ تجمعَ منَ الدنيا أكثرَ مِنْ كفايةِ سنةٍ ؛ كما كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُعِدُّ لبعضِ حُجُراتِهِ(٢) ، وقالَ :

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤/٣٤) ، وابن ماجه (٤١٤٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري (٥٣٥٧) ، وأبو داوود (٢٩٦٥) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .

لا يليقُ بصاحبِ اليقينِ إلاَّ إعدادُ قوتِ يومٍ أو نصفِهِ

« ٱللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْ قُوْتَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافاً »(١)

ولمْ يكنْ يُعِدُّ ذلكَ لكلِّ حُجُراتِهِ ؛ بلْ كانَ يُعِدُّهُ لمَنْ علمَ أنَّ في قلبِها ضعفاً ، وأمَّا مَنْ كانتْ صاحبةَ يقينٍ . . فما كانَ يُعِدُّ لها إلاَّ قوتَ يومٍ أوْ نصفٍ .

(١) رواه البخاري (٦٤٦٠) ، ومسلم (١٠٥٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

إنِّي كتبتُ في هٰذا الفصلِ مُلتمَساتِكَ ، فينبغي لكَ أنْ تعملَ بها ، ولا تنساني فيها مِنْ أنْ تذكرَني في صالحِ دعائِكَ .

وأمَّا الدعاءَ الذي سألتَ منِّي . . فٱطلُبْهُ في دعَواتِ الصِّحاحِ .

وٱقرأْ هٰذا الدعاءَ في أوقاتِكَ خصوصاً في أعقابِ صلَواتِكَ :

ٱللهمَّ ؛ يا واجبَ الوجودِ ، يا واهبَ الخيرِ والجودِ ؛ أَفِضْ علينا أنوارَ رحمتِكَ ، ويسِّرْ لنا الوصولَ إلىٰ كمالِ معرفتِكَ ، سبحانَكَ لا علمَ لنا إلا ما علَّمْتَنا ، ولا معرفةَ لنا إلا ما ألهمتَنا ، إنَّكَ أنتَ العليمُ الحكيمُ .

ٱللهمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ مِنَ النعمةِ تمامَها ، ومِنَ العصمةِ دوامَها ، ومِنَ الرحمةِ شُمولَها ، ومِنَ العافيةِ حُصولَها ، ومِنَ العيشِ أرغدَهُ ، ومِنَ العُمرِ أسعدَهُ ، ومِنَ الإحسانِ أتمَّهُ ، ومِنَ الإنعامِ أعمَّهُ ، ومِنَ الفضلِ أعذبَهُ ، ومِنَ اللُّطفِ أنفعَهُ ، ومِنَ العفوِ أجمعَهُ .

ٱللهمَّ ؛ كُنْ لنا ولا تكُنْ علينا .

ٱللهمَّ ؛ ٱختِمْ بالسعادة آجالَنا ، وحقِّقْ بالزيادةِ آمالَنا ، وٱقرِنْ بالعافيةِ غُدُوَّنا وآصالَنا ، وٱجعلْ إلىٰ رحمتِكَ مصيرَنا ومآلَنا .

ٱللهمَّ ؛ ٱصبُبْ سِجالَ عفوِكَ علىٰ ذُنوبِنا ، ومُنَّ علينا بإصلاحِ

عُيوبِنا ، وٱجعلِ التقوىٰ زادَنا ، وفي دينِكَ ٱجتهادَنا ، وعليكَ توكُّلَنا وٱعتمادَنا ، وإلىٰ رضوانِكَ مَعادَنا .

ٱللهمَّ ؛ ثبِّتْنا علىٰ نهجِ الاستقامةِ ، وأحلِلْنا دارَ المُقامةِ ، وأعِذْنا في الدنيا مِنْ مُوجِباتِ الندامةِ يومَ القيامةِ ، وخَفِّفْ عنَّا ثِقَلَ الأوزارِ ، وٱرزُقْنا عِيشةَ الأبرارِ ، وٱكفِنا وٱصرِفْ عنّا شرَّ الأشرار ، وكيدَ الفُجَّارِ ، وأعتِقْ رِقابَنا ورِقابَ آبائِنا وأمَّهاتِنا وإخوانِنا مِنَ النارِ ، برحمتِكَ يا عزيزُ يا غفَّارُ ، يا كريمُ يا ستَّارُ ، يا حليمُ يا جبَّارُ ، يا أَللهُ يا أَللهُ ، برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ .

تمّ الكتاب بعون الملك الوهّاب وحسن توفيقه

أهم مصادر ومراجع التحقيق (1)

ـ إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، للإمام الكبير الشريف محمد بن محمد الزَّبيدي الحسيني ، المعروف بـ مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) ، ط١ ، (١٩٩٤م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

ـ إحياء علوم الدين ، لحجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي بإشراف محمد غسان نصوح عزقول الحسيني ، ط١ ، (٢٠١١م) ، دار المنهاج ، السعودية .

ـ إيضاح المكنون في الذيل علىٰ «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» ، للعلامة إسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني الكردي (ت١٩٢٠هـ) ، بدون تحقيق ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ أيها الأخ شرح أيها الولد ، للعلامة عبد الرحمـٰن بن أحمد بن عمر ، الرومي الشهير بـ صبري (ت١١٣٩هـ) ، (مخطوط) .

ـ البداية والنهاية ، للإمام الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي الدمشقي ، المعروف بـ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) ، عني به مجموعة من المحققين بإشراف عبد القادر الأرناؤوط والدكتور بشار عواد معروف ، ط١ ، (٢٠٠٧م) ، دار ابن كثير ، سورية .

(١) اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي : اسم الكتاب ، اسم المؤلف وتاريخ وفاته ، اسم المحقق ، رقم الطبعة ، تاريخ طبع الكتاب ، اسم الدار الناشرة .

- بستان العارفين ، للإمام الحافظ المجتهد يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ) ، تحقيق محمد الحجار ، ط٥ ، (١٩٩٩م) ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان .

- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ، للإمام الحافظ يوسف بن عبد الله النمري ، المعروف بـ ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، ط٢ ، (١٩٨١م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- تاج العروس من جواهر القاموس ، للإمام الكبير الشريف محمد بن محمد الزَّبيدي الحسيني ، المعروف بـ مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وجماعة من أئمة التحقيق ، ط١ ، (١٣٨٥هـ) ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت .

- تاريخ بغداد ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن ثابت ، المعروف بـ الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) ، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردها وأهلها ، للإمام الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله ، المعروف بـ ابن عساكر (ت٥٧١هـ) ، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العَمْروي ، ط١ ، (١٩٩٥م) ، دار الفكر ، لبنان .

- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، للإمام الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله ، المعروف بـ ابن عساكر (ت٥٧١هـ) ، تحقيق محمد بن زاهد الكوثري ، ط١ ، (١٩٩٩م) ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر .

ـ التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ، للإمام الحافظ الفقيه عبد الرحمٰن بن أحمد السلامي البغدادي ، المعروف بـ ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ) ، تحقيق بشير محمد عيون ، ط٢ ، (١٩٨٨م) ، مكتبة دار البيان ، سورية .

ـ التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة ، للإمام الحافظ محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ) ، تحقيق الدكتور الصادق محمد إبراهيم ، ط١ ، (١٤٢٥هـ) ، مكتبة دار المنهاج بالرياض ، السعودية .

ـ تفسير الثعلبي ، المسمى « الكشف والبيان » ، للإمام المفسر أحمد بن محمد الثعلبي (ت ٤٢٧هـ) ، تحقيق الشيخ أبي محمد بن عاشور ، ط١ ، (٢٠٠٢م) ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

ـ التهجد وقيام الليل ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ) ، تحقيق مصلح بن جزاء بن فدغوش الحارثي ، ط٢ ، (٢٠٠٠م) ، مكتبة الرشد ، السعودية .

ـ الجامع لشعب الإيمان ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ) ، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط٢ ، (٢٠٠٤م) ، مكتبة الرشد ، السعودية .

ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للإمام الحافظ المؤرخ الثقة أحمد بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بـ أبي نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) ، ط٥ ، (١٩٨٧م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧هـ) لدىٰ دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، مصر ولبنان .

- ديوان الإمام عبد الله بن المبارك ، للإمام الحافظ الرحلة عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي (ت١٨١هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور مجاهد مصطفىٰ بهجت ، ط٣ ، (١٩٩٢م) ، دار الوفاء ، مصر .

- ديوان مجنون ليلىٰ ، لشاعر الغزل قيس بن الملوح بن مزاحم العامري، المعروف بـ مجنون ليلىٰ (ت٦٨هـ) ، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط١ ، بدون تاريخ ، دار مصر للطباعة ، مصر .

- روح البيان في تفسير القرآن ، للإمام المفسر الأصولي إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي (ت ١١٢٧هـ) ، بعناية أحمد عزو عناية ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- الزهد الكبير ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر ، ط٣ ، (١٩٩٦م)، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان .

- الزهد ، للإمام الحافظ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ) ، عني به محمد عبد السلام شاهين ، ط١ ، (١٩٩٩م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- الزهد والرقائق برواية المروزي ، للإمام الحافظ عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي (ت ١٨١هـ) ، ويليه زيادات رواية نُعيم بن حمّاد عليه ، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي ، ط١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، لبنان .

- سنن ابن ماجه ، للإمام الحافظ محمد بن يزيد القزويني ، المعروف بـ ابن ماجه (ت٢٧٥هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، (١٩٥٤م)، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، مصر .

- سنن أبي داوود ، للإمام الحافظ أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ) ، وبهامشه « معالم السنن » للخطابي ، تحقيق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

- سنن الترمذي ، المسمى « الجامع الصحيح » ، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ) ، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة ، ط١ ، (١٩٣٨م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- الصحاح ، المسمىٰ « تاج اللغة وصحاح العربية » ، للإمام العلامة إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ) ، ومعه حواشي الإمام اللغوي النابه عبد الله بن برِّي (ت٥٨٢هـ) و« الوشاح وتثقيف الرماح في رد توهيم المجد الصحاح » للتادلي ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- صحيح البخاري ، المسمى « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسننه وأيامه » (الطبعة السلطانية العثمانية) ، لإمام الدنيا الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت٢٥٦هـ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط١ ، (١٤٢٢هـ) ، دار طوق النجاة ، لبنان .

- صحيح مسلم ، المسمى « الجامع الصحيح » ، للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ ، (١٩٥٤م) ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، مصر .

ـ الصلة وهو ذيل على « تاريخ علماء الأندلس » لابن الفرضي ، للمؤرخ البحَّاثة خلف بن عبد الملك ، المعروف بـ ابن بَشْكُوَال (ت٥٧٨هـ) ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، ط١ ، (١٩٦٦م) ، دار الكتاب المصري ، مصر .

ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، للإمام الحافظ الناقد محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي (ت٩٠٢هـ) ، عني به محمد جمال القاسمي ، ط١ ، (١٩٩٢م) ، طبعة مصورة عن نشرة القاسمي سنة (١٣١٣هـ) لدىٰ دار الجيل ، لبنان .

ـ طبقات الشافعية الكبرىٰ ، للإمام القاضي عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، المعروف بـ تاج الدين السبكي (ت٧٧١هـ) ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو ، ط١ ، (١٣٩٦هـ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

ـ طبقات الصوفية ، لإمام الصوفية وصاحب تاريخها الحافظ محمد بن الحسين بن محمد الأزدي ، المعروف بـ أبي عبد الرحمٰن السُّلَمي (ت٤١٢هـ) ، تحقيق نور الدين شريبه ، ط٢ ، (١٩٨٦م) ، طبعة مصورة عن نشرة المحقق سنة (١٩٥٣م) لدىٰ دار الكتاب النفيس ، سورية .

ـ الفتن والملاحم ، مع « البداية والنهاية » ، للإمام الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي الدمشقي ، المعروف بـ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، عني به مجموعة من المحققين بإشراف عبد القادر الأرناؤوط والدكتور بشار عواد معروف ، ط١ ، (٢٠٠٧م) ، دار ابن كثير ، سورية .

- الفردوس بمأثور الخطاب ، للإمام الحافظ شيرويه بن شهردار الديلمي (ت٥٠٩هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، ط١ ، (١٩٨٦م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- القاموس المحيط ، لإمام اللغة والأدب محمد بن يعقوب الفيروزاباذي (ت٨١٧هـ) ، ط١ ، (١٩٩١م) ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- قوت القلوب في معاملة المحبوب ، للإمام الفقيه محمد بن علي بن عطية ، المعروف بـ أبي طالب المكي (ت٣٨٦هـ) ، وبهامشه : « سراج القلوب وعلاج الذنوب » للعلامة علي الفناني ، و« حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب » للعلامة محمد بن الحسن الإسنوي (ت٧٦٤هـ) ، ط١ ، (١٣١٠هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة الميمنية لدىٰ دار صادر ، لبنان .

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، للمؤرخ البحاثة المستعرب مصطفىٰ بن عبد الله ، المعروف بـ حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ) ، بدون تحقيق ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، لبنان .

- الكشكول ، للعلامة الاثني عشري الأديب محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي ، المعروف بـ بهاء الدين العاملي (ت١٠٣١هـ)، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي ، ط١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة ، لبنان .

- لسان العرب ، للإمام اللغوي الحجة محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (ت٧١١هـ) ، ط١ ، (١٩٩٢م) ، دار صادر ، لبنان .

ـ المجالسة وجواهر العلم ، للعلامة الفقيه المحدث أحمد بن مروان بن محمد الدِّينوري (ت٣٣٣هـ) ، ط١ ، (٢٠٠٢م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

ـ مختار الصحاح ، للإمام العلامة محمد بن أبي بكر الرازي (ت٦٦٦هـ) ، بعناية محمود خاطر ، ط٢ ، (١٩١٠م) ، المطبعة الأميرية ، مصر .

ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، للإمام العلامة المحدث عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (ت٧٦٨هـ) ، ط١ ، (١٣٣٧هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة دائرة المعارف بحيدر آباد الدَّكَّن لدىٰ دار الكتاب الإسلامي ، مصر .

ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، للإمام العلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠هـ) ، بعناية الشيخ حمزة فتح الله ، ط٢ ، (١٩٠٦م) ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، مصر .

ـ المصنف ، للإمام الحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ) ، تحقيق حبيب الرحمـٰن الأعظمي ، ومعه : « الجامع » للإمام معمر الأزدي (ت١٥٣هـ) ، ط٢ ، (١٩٨٣م) ، المجلس العلمي بالتعاون مع المكتب الإسلامي ، لبنان .

ـ المصنف ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ) ، تحقيق الشيخ محمد عوَّامة ، ط٢ ، (٢٠٠٦م) ، دار المنهاج ، السعودية .

- المعجم الأوسط ، للإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ) ، تحقيق الدكتور محمود الطحان ، ط١ ، (١٩٨٥م) ، مكتبة المعارف ، السعودية .

- معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة ، وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ولمعة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة إلىٰ نهاية السنة الهجرية ١٣٣٩ الموافقة لسنة ١٩١٩ ميلادية ، للأديب الكاتب يوسف بن إليان بن سَركيس (ت١٣٥١هـ) ، بدون تحقيق ، طبعة مصورة لدىٰ مكتبة المرعشي النجفي ، إيران .

- معرفة السنن والآثار ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ، ط١ ، (١٩٩١م) ، دار قتيبة ودار الوعي ودار الوفاء ، سورية ومصر .

- المنتخب من السياق لتكملة تاريخ نيسابور ، للإمام المحدث الرحال إبراهيم بن محمد الأزهر الصريفيني (ت٦٤١هـ) ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، ط١ ، (١٩٨٩م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- المؤتلف والمختلف ، للإمام الحافظ الحجة علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني (ت٣٨٥هـ) ، تحقيق الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، ط١ ، (١٩٨٦م) ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان .

- النهاية في غريب الحديث والأثر ، للإمام الحافظ اللغوي المبارك بن محمد بن محمد ، المعروف بـ ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق محمود الطناحي والطاهر الزاوي ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

ـ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون ، لعالِم الكتب البحاثة إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (ت١٣٣٩هـ) ، بدون تحقيق ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، لبنان .

مُحتوى الكتاب

بينَ يدي الكتابِ ١١

ترجمةُ الإمامِ الغزاليِّ رضيَ اللهُ عنهُ ١٤

ـ شيوخُ الإمامِ الغزاليِّ رضي الله عنه ١٤

ـ اعتزالُهُ النَّاسَ وتأليفُهُ «الإحياءَ» ١٥

ـ بعضُ مؤلفاتِهِ رضيَ اللهُ عنهُ ١٦

وصفُ النُّسخِ الخطِّيَّةِ ١٧

منهجُ العملِ في الكتابِ ٢١

صورُ المخطوطاتِ المُستعانُ بها ٢٣

«أيُّها الولَدُ»

خطبة الرسالة ٣٥

ـ سببُ تأليفِ هٰذهِ الرسالةِ ٣٥

ـ أولُ الهدايةِ خاطِرٌ ٣٥

ـ مِنْ سعادةِ المرءِ وجودُ الطبيبِ الحاذقِ ٣٦

ـ وجودُ التآليفِ لا تغني عنِ الشَّيخِ ٣٦

ـ منبع النصيحة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٧

الاشتغالُ بما لا يَعني هو علامةُ إعراضِ اللهِ تعالىٰ عنِ العبدِ . . ٣٧

العلمُ عملٌ وليسَ مجرَّدَ وسيلةٍ ٣٨

- حجةُ اللهِ آكدُ علىٰ تاركِ العملِ ٣٨
- الإخلاصُ هوَ النافعُ وغيرُهُ يَفنىٰ ٣٩
أمثلة لبيانِ وجوبِ العملِ بالعلمِ ٣٩
- العلمُ بلا عملٍ كالسيفِ بلا يدٍ ٣٩
- العلمُ لا ينفعُ بلا عملٍ ٤٠
- العلمُ الكثيرُ بلا عمل ليسَ أهلاً لرحمةِ اللهِ تعالىٰ ٤٠
- الأعمالُ التكليفيَّةُ دليلٌ علىٰ وجوبِ العلمِ بالعملِ ٤١
- الردُّ علىٰ شُبهةِ أنَّ الإيمانَ بدونِ عملٍ كافٍ لدخولِ الجنَّةِ ٤١
لا بدَّ مِنَ العملِ ولا وصولَ إلاَّ بهِ ٤٢
- إنَّما خُلقنا للعبادةِ ٤٢
- مَنْ لَم يعرِضْ عنِ اللهِ لَنْ يُعرِضَ اللهُ عنهُ ٤٣
ضرورةُ تحريرِ النيّةِ في طلبِ العلمِ ٤٤
- الويلُ لمَنْ طلبَ الدنيا بالآخرةِ ٤٤
ما فائدةُ العلمِ مِنْ غيرِ عملٍ ٤٥
- مراقبةُ اللهِ قبلَ مراقبةِ الخَلْقِ ٤٥
العلمُ والعملُ لا ينفكانِ ٤٥
- لا يمكنُ إرجاعُ ما فاتَ مِنَ العمرِ إذا فاتَ ٤٦
لزومُ تكبيرِ الهِمَمِ ٤٦
- اخترْ لنفسكَ : أعاليَ بروجِ الجنانِ أو هاويةَ النارِ ٤٦
كثرةُ النومِ بالليلِ دليلُ الإفلاسِ ٤٧

الحثُّ علىٰ إحياءِ وقتِ السَّحَرِ ٤٨
ـ ثلاثةُ أصواتٍ يحبُّها اللهُ تعالىٰ ٤٨
ـ للهِ تعالىٰ ريحٌ عندَ السَّحَرِ تحملُ الذِّكْرَ لهُ ٤٩
ـ مراتبُ قوَّامِ الليلِ ٤٩
لا يكوننَّ الدِّيكُ أكيسَ منكَ ٤٩
ـ الدمعُ مِنَ الخشيةِ دليلُ المحبَّةِ ٥٠
خلاصةُ العلمِ : الطاعةُ والعبادةُ ٥٠
العلمُ والعملُ بلا اقتداءِ الشرعِ ضلالةٌ ٥١
ـ مَنْ تصوَّفَ قبلَ أن يتفقَّهَ فقد تزندقَ ٥١
ـ حياةُ القلبِ معلَّقةٌ علىٰ موتِ النفسِ ٥١
ـ المعانِي الذوقيَّةُ تُدرَكُ بالممارسةِ لا بالقولِ ٥٢
واجباتُ السالكِ ٥٢
ـ حكاية : علمُ الأوَّلينَ والآخرينَ مندرجٌ في حديثٍ واحدٍ . . ٥٣
ـ حكاية : ثماني فوائدَ مِنَ العلمِ حاصلُ صحبةِ ثلاثينَ سنةً . . ٥٥
١ـ المحبوبُ الذي يؤنِسُكَ في قبرِكَ ٥٥
٢ـ هجرُ الهوىٰ لتكونَ الجنةُ هيَ المأوىٰ ٥٦
٣ـ تَفنى الدنيا وما عندَ اللهِ باقٍ ٥٦
٤ـ الشرفُ الحقيقيُّ في التقوىٰ ٥٦
٥ـ منَ حسدَ فعلى اللهِ قدِ اعترضَ ٥٧
٦ـ العدو هوَ الشيطانُ لا غيرُهُ ٥٧

٧ـ الرزقُ على اللهِ، فما الداعي للطمعِ فيما سواهُ؟ ٥٨
٨ ـ ومَنْ يتوكلْ على اللهِ فهوَ حسبُهُ ٥٨
ـ علىٰ هـٰذهِ الفوائدِ الثمانيةِ تدورُ الكتبُ الأربعةُ ٥٩
خلاصةُ الحكايتينِ ٥٩
ـ لا بُدَّ مِنْ شيخٍ مُرَبٍّ ٦٠
ـ لا بدَّ مِنْ شيخٍ تسيرُ سيرَهُ ٦٠
ـ شروطُ المربِّي وعلاماته ٦٠
ـ الإعراضُ عَنْ حبِّ الدنيا وحبِّ الجاهِ شرطُ المربِّي ٦٠
ـ المربِّي مَنْ كانَتْ محاسنُ الأخلاقِ لهُ سيرةً ٦١
ـ المربِّي الحقُّ نورٌ ولـٰكنَّهُ عزيزٌ نادرٌ ٦١
ـ أدبُ السالكِ معَ المربِّي ٦١
ـ احترامُ المربِّي في الظَّاهرِ والباطنِ شرطٌ للسُّلوكِ ٦١
ـ صاحبُ السوءِ يلوِّثُ القلبَ ٦٢
ـ خَصْلتا التصوُّفِ ٦٣
ـ معنى العبوديةِ ٦٣
ـ معنى التوكلِ ٦٣
ـ معنى الإخلاصِ ٦٤
ـ مِمَّ يتولَّدُ الرِّياءُ وكيفَ يكونُ علاجُهُ؟ ٦٤
الزيادةُ في العلمِ ميراثُ العملِ ٦٤
استفتِ قلبكَ وإن أفْتَوكَ ٦٥

- لا وصولَ إلاَّ بالسيرِ ٦٥
رأسُ هٰذا الأمرِ بذلُ الروحِ ٦٥
نصائحُ الإمامِ الغزاليِّ رضيَ الله عنهُ لتلميذِهِ ٦٦
- النهي عن المناظرة ٦٦
- جوازُ المناظرةِ لإظهارِ الحقِّ ٦٦
- فائدة في السؤال عن المشكلات ٦٧
- الجهلُ مرضٌ وطبيبهُ الشافي العالِمُ الكامِلُ ٦٧
- العلةُ المزمنةُ لا تقبلُ العلاجَ ٦٧
- أنواعُ الجهلِ ٦٧
- الحسدُ علةٌ إنْ عُولجَتْ زادَتْ ٦٨
- يحيا الميتُ ولا يَشفى الأحمقُ ٦٨
- اعتراضُ قليلِ العلمِ على العالِمِ حمقٌ جوابُهُ السكوتُ ٦٩
- المسترشدُ البليدُ لا يُشْغَلُ بجوابِهِ ٦٩
- جهلٌ يقبلُ العلاجَ ٦٩
- عِظْ نفسكَ وإلاَّ فلا تعظِ الناسَ ٧٠
- التكلُّفُ الزائدُ دليلُ خرابِ الباطِنِ ٧٠
- الفرقُ بينَ التذكيرِ والوعظِ ٧١
- ما خرجَ منَ القلبِ وقعَ في القلبِ ٧١
- ضربُ مثلٍ في النهي عنِ التكلُّفِ ٧١
- ما ينبغي أن يقصدَهُ الواعظُ بوعظِهِ ٧٢

- هِمَّةُ الواعظِ تقريبُ الناسِ إلى الطاعةِ وإبعادُهُم عنِ المعصيةِ ٧٢
- الإرعابُ والتحذيرُ طريقٌ للاتعاظِ والتذكيرِ ٧٢
- الوعظُ مِنْ غيرِ ناصحٍ وبالٌ علىٰ مَنْ قالَ وسمعَ ٧٣
- وجوبُ النهيِ عَنْ وعّاظِ السُّوءِ ٧٣
- النهيُ عن مخالطةِ السلاطينِ ٧٣
- النهيُ عن هدايا الأمراءِ ٧٣
- آفاتُ قَبولِ العطاءِ مِنَ الأمراءِ ٧٤
- قَبولُ العطاءِ بقصدِ التصدقِ خديعةٌ مِنَ الشيطانِ ٧٤
- المأموراتُ أربعة : معاملة الله والعباد ٧٤
- الأمرُ بمعاملةِ الناسِ بما ترضاهُ لنفسِكَ ٧٥
- تقديمُ العلومِ المُصْلِحَةِ للقلوبِ علىٰ غيرِها ٧٥

إصلاحُ الباطنِ ٧٥
- ضربُ مثلٍ لمراقبةِ اللهِ تعالىٰ ٧٦
- علمُ أحوالِ القلبِ فرضُ عينٍ ٧٦
- الأمر بالرضا بالكفاف ٧٦
- لا يليقُ بصاحبِ اليقينِ إلاَّ إعدادُ قوتِ يومٍ أو نصفِهِ ٧٧

خاتمةٌ ودعاءٌ ٧٨

أهم مصادر ومراجع التحقيق ٨١

محتوى الكتاب ٩١